سلسلة الشتات العربي الجديد

إعلامية الشتات العربي:
فهم دور الإعلام العابر للحدود في تشكيل العمل السياسي في الشتات

مبادرة الإصلاح العربي

UNIVERSITY OF COPENHAGEN

عن الكتّاب

سارة ان رانك، نائبة المدير، مبادرة الإصلاح العربي
ايهاب جلال، أستاذ مشارك ، جامعة كوبنهاغن، دنمارك
توماس فيبيجر، أستاذ مشارك، جامعة آرهوس، دنمارك
زينية يونس، طالبة دكتوراه، جامعة كوبنهاغن
مصطفى شحاته، أستاذ مساعد، جامعة المنوفية، مصر

© 2022 مبادرة الإصلاح العربي | جميع الحقوق محفوظة.

يسمح هذا الترخيص للقائمين بإعادة الاستخدام بتوزيع المواد وإعادة دمجها وتكييفها والبناء عليها بأي وسيط أو تنسيق لأغراض غير تجارية فقط، وطالما يتم الإسناد إلى المنشئ. إذا قمت بإعادة مزج المواد أو تكييفها أو البناء عليها، فيجب عليك ترخيص المواد المعدلة بموجب شروط مماثلة.

أيار/مايو 2022

جدول المحتويات

1 **مُقدّمة**
سارة ان رانك

2 **إعلامية الشتات العربي: أحد عشر عاماً على الربيع العربي**
إيهاب جلال

5 **وسائل الإعلام المصرية في الشتات: الإمكانات والعقبات اللازمة للتعبئة السياسية**
إيهاب جلال

10 **ما عساي أن أفعل؟ دور الناشطية (الإعلامية) في أوساط البحرينيين في لندن والدنمارك**
توماس فيبيغر

14 **التعقيدات التي تتغلغل بتأثيرها في الانتماء والانقسام والتعبئة السياسية: المعارضون السوريون في أوروبا**
زينية يونس

18 **الاتصال السياسي في الشتات: دراسة حالة الشتات التونسي في أوروبا**
مصطفى شحاته

مُقدّمة

سارة ان رانك

شهدت أوروبا على مدى العقد الماضي موجة هامة من الهجرة القادمة من المنطقة العربية، والتي بلغت ذروتها عام 2015. وكثيراً ما كانت تدفقات الهجرة هذه وما تلاها من عمليات تشتت المهاجرين من منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في المناطق الأوروبية، نتيجة لتدهور الأوضاع في أوطانهم الأصلية، بما في ذلك الصراعات المستعصية والقمع وتعاقب الحكم الاستبدادي والانهيار الاقتصادي بل وحتى انهيار الدول. بيد أن هذا التوسع والتنوّع في مجتمعات الشتات من منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا في أوروبا صاحبه مزيجاً من العداء الشعبي والسياسي المتزايد في البلدان المُستَضيفة للمهاجرين وملتمسي اللجوء، بالإضافة إلى إتاحة فرص جديدة لتنظيم الشتات وتعبئته. وقد ظهرت مواقع في أوروبا - مدن ومنتديات افتراضية وشبكات عابرة للحدود - بوصفها مساحات تتشكل فيها الهويات السياسية وأنماط جديدة للنشاط السياسي بين مجتمعات الشتات العربي. ومن الأبعاد بالغة الأهمية في عمليات تشتت المهاجرين وتشكيل الهوية وإعادة تشكيلها والتعبئة السياسية، تنوّع وسائل الإعلام وتوسع نطاق الوصول الذي تقدمه تكنولوجيا المعلومات والاتصالات. بالفعل، سلسلة مترابطة من وسائل الإعلام.

منذ عام 2020، تعكف "مبادرة الإصلاح العربي" على دراسة التحولات في مجتمعات الشتات في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، وأنماط المشاركة السياسية والتعبئة الاجتماعية الناجمة عن ديناميات ما بعد عام 2011. وكجزء من هذا العمل، استضافت "مبادرة الإصلاح العربي" سلسلة جلسات حوارية عبر الإنترنت في الفترة بين عامي 2020-2021، بعنوان "الشتات العربي الجديد"، تضمنت منظورات بحثية وآراء النشطاء بشأن الدور الحالي والمحتمل للشتات من منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا، بوصفهم فاعلين سياسيين يرصدون التطورات في بلدانهم الأصلية ويتفاعلون معها. فقد سعت هذه السلسلة إلى استكشاف جهود الشتات وكيفية الاستفادة منها للمساهمة في عمليات بناء السلام وإعادة الإعمار والمصالحة والعدالة الانتقالية في أوطانهم. وكجزء من هذه السلسلة، شاركت "مبادرة الإصلاح العربي" وجامعة كوبنهاغن في استضافة جلسة حوارية بعنوان "الشتات العربي في أوروبا: مساحات تشكيل الذاتية السياسية ومشاركة النشطاء" في 21 كانون الثاني/يناير 2021.

تناولت الجلسة الحوارية كيف أن استخدام وسائل الإعلام في المجال الاجتماعي العابر للحدود ينير السبيل أمام العمل السياسي وتشكيل الهوية، بالاعتماد على الحالات التجريبية لمجتمعات الشتات السورية والتونسية والبحرينية والمصرية في أوروبا، والبحوث التي أجريت في إطار مشروع "الشتات الوسيط: السياسات الخلافية بين مستخدمي وسائل الإعلام العرب في أوروبا". واستعرضت الجلسة الحوارية أيضاً مبادرات جديدة محددة يضطلع بها النشطاء ومساحات المشاركة السياسية الناشئة، وركزت بشكل خاص على الكيفية التي يعمل بها أعضاء الشتات العربي في النرويج على إنشاء مساحة عابرة للحدود للشتات للمشاركة السياسية، وكيف يوسع المنفون في برلين نطاق تضامنهم وأفكارهم حول ماهية النضال على أرض الواقع، وكيف يستخدم نشطاء الشتات اللبناني مساحة لا مركزية للانتقال من المساعدات الإنسانية إلى المشاركة السياسية.

تركز هذه المجموعة من البحوث، التي تمثل النتائج البحثية لمشروع "إعلامية الشتات"، على الممارسات الإعلامية لمختلف مجتمعات الشتات العربي في أوروبا، وبشكل أدق العلاقة بين وسائل الإعلام والديناميات السياسية المتغيرة في البلدان الأصلية منذ عام 2011. ومن منظور التواصل السياسي والحوار بين الثقافات، تناقش البحوث عمليات التفاعل العابرة للحدود للشتات العربي في أوروبا. وهذا يتضمن الكيفية التي تعمل بها وسائل الإعلام في الشتات، باعتبارها قوى فاعلة سياسية عابرة للحدود، كوسيلة للنقد السياسي والمعارضة في مصر ما بعد الثورة؛ والأدوار المختلفة التي تؤديها وسائل الإعلام في النضال وتشكيل الهوية بين المجتمعات البحرينية في الشتات في لندن والدنمارك؛ والممارسات الإعلامية المتعددة الأبعاد والتي تعمل على المستوى المحلي في أكثر من منطقة، وكيف يمكن لهذه الممارسات أن تعزز الشعور بالانتماء ومستويات النشاط السياسي بين المجتمعات السورية؛ والآثار الاجتماعية - السياسية والعابرة للحدود التي تخلفها وسائل الإعلام على الشتات التونسي.

تساهم "مبادرة الإصلاح العربي" وجامعة كوبنهاغن من خلال نشر هذه المجموعة بمعارف جديدة حول النشاط السياسي للشتات العربي في أوروبا منذ عام 2011، والطرق التي تقوم من خلالها وسائل الإعلام الجديدة بتمهيد العلاقات مع الوطن الأم والبلد المضيف وإعادة تشكيل تعبئة الشتات.

إعلامية الشتات العربي: أحد عشر عاماً على الربيع العربي

إيهاب جلال

منذ حوالي 11 عاماً، كان الجميع يتحدث عما يسمى بالربيع العربي؛ تلك الاحتجاجات الشعبية التي بدأت في تونس في ديسمبر/كانون الأول 2010 وأشعلت موجة من الانتفاضات في مصر وليبيا واليمن وسوريا والبحرين، وبدرجة أقل في دول أخرى في المنطقة. منذ ذلك الحين، تغيرت قصص الربيع وهبت رياح سياسية جديدة على الشرق الأوسط. فبعد فترة وجيزة في كرسي السلطة، أُطيح بالرئيس المصري محمد مرسي -المنتمي لجماعة الإخوان المسلمين- وعادت مصر إلى الحكم العسكري بقيادة اللواء السيسي. أما في البحرين، فقد تمكن النظام من سحق الانتفاضات في البلاد بسرعة. بينما لا تزال ليبيا واليمن وسوريا في حالة من الفوضى بعد دخول النفق المظلم للحرب الأهلية. وفي البلدان التي شهدت موجة ثانية من الانتفاضات الجماهيرية في عام 2019 -لبنان والعراق والسودان والجزائر- حيث يبدو أن بعض المكاسب قد تحققت لصالح مطالب المحتجين؛ فلا يزال الوضع السياسي غيرَ مستقر والقمعُ آخذٌ في الازدياد. في الواقع، يمثل عدم الاستقرار هذا مصدر قلق وتحدياً يومياً في الشرق الأوسط، حيث تُكمّم الأفواه على نطاق واسع من خلال الرقابة والسجن والملاحقة، وهذا هو الواقع الذي لم يزده الإعلام الرقمي إلا انتشاراً.

وفي الوقت نفسه، فإن الواقع اليومي والوعي بالتطورات السياسية مختلفان تماماً بالنسبة لطائفة من سكان هذه البلدان الذين يعيشون في الشتات، أي من يعيشون في المنفى في بلدان وأجزاء أخرى من العالم، وأوروبا على وجه الخصوص. ففي الوقت الذي واجهت فيه وسائل الإعلام الناقدة للنظام قيوداً سياسية جديدة (Hassan 2015؛ Lynch 2013)، ظهرت وسائل ومنصات إعلامية جديدة تحشد تحتها مختلف التوجهات السياسية، وبعض هذه المنصات ينشر ويبث من الشتات. وعلى هذا النحو، يتابع كثيرون عن كثب التطورات السياسية في بلدانهم الأصلية، وينشط البعض الآخر في محاولة لفعل شيء حيال الوضع الراهن من خلال التأثير على كل من الأجندة السياسية والإعلامية، سواء في الشرق الأوسط أم في الدول الأوروبية المضيفة حيث يعيشون الآن (Brinkerhoff 2009; Galal 2021). ومن هنا، كان لهذه التطورات في قطاع الإعلام تأثيرات مختلفة على مجتمعات الشتات العربية: فهي تضع قيوداً وتقدم فرصاً جديدة في التعبئة السياسية العابرة للحدود.

نتيجة لهذه التأثيرات، صارت هناك حاجة ماسة لفهم دور الإعلام العابر للحدود في تشكيل العمل السياسي بين مجتمعات الشتات العربي في أوروبا. هناك ثلاثة تطورات حديثة تجعل هذه الحاجة ملحة وذات أهمية كبرى: أولاً؛ الاضطرابات السياسية المتزايدة، والحروب الأهلية، والسلطوية الجديدة، والقيود الشديدة على وسائل الإعلام التي جاءت في أعقاب انتفاضات 2011 في الدول العربية (Hinnebusch 2018). ثانياً: ظهور قلق عام جديد بشأن الهجرة الجماعية إلى أوروبا فيما بعد الربيع العربي، فضلاً عن أمننة التكوين السياسي للشتات العربي في أوروبا والتشهير به وإدانته. وثالثاً: سهولة الوصول إلى مجموعة متزايدة من منافذ الوسائط الرقمية العابرة للحدود "من الأسفل".

في ضوء هذا السياق، تسعى الدراسات المقدمة هنا -والتي تعد جزءاً من مشروع بحثي أكبر- إلى استكشاف سؤالين: كيف استخدمت مجتمعات الشتات العربية في أوروبا الإعلام العربي في تشكيل العمل السياسي العابر للحدود منذ عام 2011؟ وكيف يحفز استخدام المنصات الإعلامية المختلفة -أو يقيد- نشاط معين من أنشطة الشتات، وماذا يعني هذا لفهمنا للإعلامية الشتات ؟

فهم سياسة النزاع في الفضاء العابر للحدود

للإجابة على هذه الأسئلة، تقترح الأوراق المقدمة هنا والمشروع الأكبر الذي خرجت منه نموذجاً جديداً للشتات المتسلح بوسائل الإعلام. يأخذ هذا النموذج في اعتباره الطابع الظرفي ومتعدد الاتجاهات لتشكيل العمل السياسي (Levitt and Schiller 2004) من خلال استكشاف الروابط بين أشكال نشاط سياسة النزاع واستخدام وسائل الإعلام في الفضاء الاجتماعي العابر للحدود. في إطار هذا المشروع متعدد التخصصات -المُسمى بإعلامية الشتات: سياسة النزاع بين مستخدمي وسائل الإعلام العربية في أوروبا (MEDIASP)[1]. تدرس المجموعة البحثية التعبئة السياسية لمجتمعات الشتات العربية في أوروبا فيما بعد الربيع العربي، ودور وسائل الإعلام في تحويله إلى شتات يستعمل وسائل الإعلام أداة للعمل السياسي. يُجري المشروع دراسة مقارنة بين استخدام ومستخدمي وسائل الإعلام السورية والتونسية والبحرينية والمصرية الناقدة للنظام وبين التعبئة السياسية. اختيرت هذه الدول العربية الأربع لأنها تمثل أنماطاً مختلفة من الهجرة التي تشكلت من خلال الروابط

1 أسند المشروع إلى قسم الدراسات الإقليمية وتقاطع الثقافات في جامعة كوبنهاغن، ويموله صندوق البحث المستقل الدنماركي تحت رقم 8018-00038B.

الاستعمارية والصراعات الحالية. وقد نتج عن ذلك انخراطٌ متنوع ومتغير في العمل السياسي العابر للحدود، وقوة تنظيمية مصاحبة له. كما أن هذه الدول تمثل تطورات سياسية متنوعة بعد الربيع العربي تشترك في كونها لم تحل بعد؛ من الحرب الأهلية المستمرة في سوريا إلى الديمقراطية السياسية الهشة في تونس، مروراً بتغييرات النظام المتتالية في مصر، وانتهاءً بالحفاظ على النظام في البحرين (Sadiki 2014). هذه التطورات لها تأثير مباشر على حالة الإعلام الناقد للنظام والمعبأ سياسياً. ومن هنا نظم المشروع الدول الأربع في أربعة مشاريع فرعية، تدرس الاختلافات الواسعة المحتملة في العمل السياسي المدفوع بالإعلام بين المجتمعات العربية في أوروبا.

وبهذه الطريقة، يوفر المشروع معرفة تجريبية جديدة ومتأصلة حول الطرق المعقدة التي تشارك بها وسائل الإعلام في الصراعات القوية للغاية وسياسات الشتات اليوم (Simon 2006). وتدعم ذلك منهجيةٌ تدرس الاستخدام الموضوعي والمتكامل لمنصات الوسائط المتعددة من خلال دراسات الحالة والمقارنات والمقاربات متعددة التخصصات، ومن خلال الابتكار النظري بفضل الاعتماد على مثلث مفاهيمي يتكون من الشتات والاستخدام المتنوع للوسائط الإعلامية وتشكيل العمل السياسي.

تقييم استخدام وسائل الإعلام في الشتات

يسلط المنهج النظري والتحليلي للمشروع الضوء على الصلات بين وسائل التواصل وبناء الأفراد لذاتهم (Krotz 2008)، وكيف تسهل هذه الروابط تشكيل العمل السياسي. لذلك نحن نستخدم منظور هيمنة الوسائط الإعلامية باعتبارها عملية مستمرة تربطها علاقة بتغيير وسائل الإعلام من ناحية، والتحول الاجتماعي والثقافي من ناحية أخرى (Lundby 2014; Mortensen 2016). من خلال مفهوم الشتات (Cohen 2008)، نستكشف كيف يرتبط استخدام الوسائط الإعلامية بتكوينات الشتات المتميزة والهياكل التنظيمية. وعن طريق الاعتراف بإمكانياتها التنظيمية (طرق عملها) والعاطفية (كيف ترسم وجودها) (Levitt and Schiller 2004)، فإننا نستكشف مجتمعات الشتات من خلال ممارساتها الإعلامية الظرفية ومتعددة الاتجاهات، ونشاطها السياسي، وتشكيل المحيط الجغرافي (Alonso and Oiarzabal 2010; Georgiou 2006; Moores 2012).

بالنظر إلى الإعلام على أنه جزء لا يتجزأ من الحياة اليومية (Hepp 2010)، فإننا لا نفضل أي منفذ إعلامي محدد على حساب آخر، بل نجري تحقيقنا على ممارسات استخدام العديد من منصات الوسائط الاجتماعية التكميلية، ونستخدم مفهوم الاستخدام المتنوع للوسائط الإعلامية لاستكشاف رصيد كل منصة من تشكيل الوعي وصنع المعنى (Ellestrom 2010; Kress 2009). ثم نستكشف الرابط التحليلي بين الاستخدام المتنوع للوسائط الإعلامية المختلفة وتشكيل العمل السياسي من خلال التمييز بين تكوين العمل التواصلي (العشوائي، الصغير، أو الفضفاض) وتشكيل العمل الجماعي (المنظم جيدًا) (Bennett and Segerberg 2013) مع الأخذ في الاعتبار أن العمل السياسي يؤدي دوره عن بُعد في سياق الشتات.

تستند الدراسات المقدمة هنا إلى مقابلات مع مستخدمي وسائل الإعلام العربية في دول أوروبية مختلفة: الدنمارك والسويد وألمانيا والمملكة المتحدة وفرنسا. وإلى جانب وجود ارتباط مغترب إما بسوريا أو تونس أو البحرين أو مصر، فإن المشاركين في هذه المقابلات منخرطون في العمل السياسي -ولكن ذلك لا يعني بالضرورة أن لهم تنظيماً سياسياً- وقد حرصنا في اختيارهم على جمع أكبر قدر ممكن من الاختلاف فيما يتعلق بالجنس والعمر ومدة الإقامة. من خلال هذا البحث، تقدم المقالات في هذه المجموعة رؤى حول الإعلام والشتات العربي والدين، فضلاً عن الوعي والنشاط السياسي. تركز المقالات جميعها على التطورات منذ الربيع العربي، وتناقش كيفية ارتباط مجموعات الشتات في أماكن مختلفة في أوروبا -بما في ذلك تركيا- بالوضع في الشرق الأوسط وخاصة في البلد الأم (سوريا وتونس ومصر والبحرين). وبهذا توفر الدراسات مجموعة معقدة من البيانات التي تعزز الرؤى الخاصة بكل حالة، والمقارنات التي تضع السياق بعين الاعتبار، وتتصدى للتحيز الناجم عن عدم استيعاب التنوع. على هذا النحو، سلطت الدراسات المقدمة الضوء على عمليات تشكيل العمل السياسي من خلال إبراز التعقيد في عرض واستخدام الإعلام المعارِض العابر للحدود بين الشتات العربي في فترة ما بعد 2011.

المراجع

Alonso, A., & Oiarzabal, P. (2010). Diasporas in the new media age: Identity, politics, and community. University of Nevada Press.

Bennett, W. L., & Segerberg, A. (2013). The logic of connective action: Digital media and the personalization of contentious politics. Cambridge University Press.

Brinkerhoff, J. M. (2009). Digital diasporas: Identity and transnational engagement. Cambridge University Press.
Cohen, R. (2008). Global diasporas: An introduction. Routledge.

Elleström, L. (2010). The modalities of media: A model for understanding intermedial relations. In L. Elleström (Ed.), Media borders, multimodality and intermediality (pp. 11–48). Springer.

Galal, E. (2021). Plads til opposition? Egyptisk tv i Istanbul. Babylon Nordisk Tidsskrift for Midtøstenstudier, 1, 44–57.
Georgiou, M. (2006). Diaspora, identity and the media: Diasporic transnationalism and mediated spatialities. Hampton Press.

Hassan, A. F. (2015). Media, revolution and politics in Egypt: The story of an uprising. Bloomsbury Publishing.

Hepp, A. (2010). Researching 'mediatised worlds': Non-mediacentric media and communication research as a challenge. In Carpentier, Nico (Ed.), Media and communication studies: Intersections and interventions (pp. 37–48). University of Tartu Press.

Hinnebusch, R. (2018). After the Arab uprisings: Between democratization, counter-revolution and state failure. Routledge.

Kress, G. (2009). Multimodality: A social semiotic approach to contemporary communication. Routledge.

Krotz, F. (2008). Media connectivity: Concepts, conditions, and consequences. In Hepp, Andreas, F. Krotz, S. Moores, & C. Winter (Eds.), Network, connectivity and flow. Conceptualising contemporary communications (pp. 13–31). Hampton Press.

Levitt, P., & Schiller, N. G. (2004). Conceptualizing simultaneity: A transnational social field perspective on society 1. International Migration Review, 38(3), 1002–1039.

Lundby, K. (2014). Mediatization of communication. In K. Lundby (Ed.), Mediatization of communication (pp. 3–35). De Gruyter.

Lynch, M. (2013). The Arab uprising: The unfinished revolutions of the new Middle East. PublicAffairs.

Moores, S. (2012). Media, place and mobility. Macmillan International Higher Education.

Mortensen, M. (2016). Medialiseret konflikt: Globalisering, professionalisering og digitalisering. In S. Hjarvard (Ed.), Medialisering – Mediernes rolle i social og kulturel forandring (pp. 217–239). Hans Reitzels Forlag.

Sadiki, L. (2014). Routledge handbook of the Arab Spring: Rethinking democratization. Routledge.

Simon, C. (2006). Mediatized conflict: Developments in media and conflict studies. Maidenhead: Open University Press.

وسائل الإعلام المصرية في الشتات: الإمكانات والعقبات اللازمة للتعبئة السياسية

إيهاب جلال

منذ اندلاع ثورات الربيع العربي، تفوقت اسطنبول على لندن باعتبارها مركزاً لاستضافة جماعات المعارضة السياسية العربية ووسائل الإعلام التي تنتقد النظام. وقد أتاح هذا الموقع الجغرافي خارج المنطقة العربية الفرصة أمام تأسيس وسائل إعلام تنتقد الأنظمة العربية. وبالإضافة إلى وسائل الإعلام التي تبث من لندن والدوحة، أسفر ذلك عن ظهور منافذ ومنابر إعلامية جديدة ومتنوعة ومعبأة سياسياً. وفي اسطنبول، يشمل هذا العديد من صناع المحتوى المرئي المصريين على اليوتيوب، ووسائل التواصل الاجتماعي، والمواقع الاخبارية، والقنوات التلفزيونية؛ وعلى رأسها قناة "وطن" التابعة للإخوان المسلمين؛ وقناة "الشرق" التي يديرها السياسي الليبرالي المصري المعروف أيمن نور؛ وقناة "مكملين" التي توظف كلاً من الليبراليين والنشطاء الشباب المرتبطين بجماعة الإخوان المسلمين والذين يعارض العديد منهم القادة التقليديين لجماعة الإخوان المسلمين أو ينتمون إلى جماعات منفصلة خاصة بهم.

أما وسائل الإعلام التي تتواجد في لندن والدوحة، فهي ليست مصرية خالصة كسابقتها، ولكنها تكرس الكثير من الوقت والمساحة للوضع السياسي في مصر، بينما توظف في الوقت نفسه العديد من مقدمي البرامج والصحفيين ذوي الخلفية المصرية. ومن بين هذه القنوات؛ قناة "الجزيرة" في الدوحة وقناة "الحوار"، وقناة "التلفزيون العربي"، وصحيفة "العربي الجديد" في لندن. وبالإضافة إلى ذلك، تمكنت وسائل الإعلام المستقلة مثل صناع المحتوى المرئي على اليوتيوب من جذب جمهور كبير على نحو متزايد. وهذا يشمل مقدمي برامج تلفزيونية معروفين ومرموقين الذين يظهرون في برامجهم التلفزيونية بينما لديهم في الوقت نفسه قنوات على اليوتيوب خاصة بهم. (مثل محمد ناصر في قناة "مكملين"، ومعتز مطر في قناة "الشرق"، ونور الدين عبد الحافظ في قناة "وطن"، ويوسف حسين في قناة "التلفزيون العربي")، ومن أمثال آيات عرابي وعبد الله الشريف الذين يظهرون فقط في برامجهم الخاصة على اليوتيوب، مستخدمين المنصة لانتقاد النظام المصري الحالي ومعارضته، وإن كان ذلك بوسائل وأهداف مختلفة.

على الرغم من وجهات نظرهم الأيديولوجية المختلفة، تشترك جميع هذه المنابر الإعلامية في نهج معارض للنظام المصري الاستبدادي، وتهدف إلى تعبئة المعارضة السياسية بين المصريين داخل مصر وخارجها على حد سواء. ومن هذا المنطلق، فهم يسعون إلى أن يكونوا مساحات ثورية محتملة. ولكن هل ينجحون في هذا المسعى؟ ليس القصد من هذه الورقة تقديم إجابة قاطعة على هذا السؤال، بل دراسة الإمكانات والعقبات من خلال بحث تداخل الجوانب الوطنية، والمتعلقة بالشتات، والإعلامية التي تقيد وتحث مجتمعةً جهود التعبئة. وتستند الورقة إلى النتائج المستخلصة من المشروع البحثي "إعلامية الشتات: سياسة النزاع بين مستخدمي وسائل الإعلام العربية في أوروبا"[1] ، بما في ذلك مقابلات مع الصحفيين، ومقدمي البرامج، ومنتجي وسائل الإعلام المصرية في اسطنبول، ومع النشطاء السياسيين الذين انتقلوا إلى تركيا منذ سيطرة الجيش على السلطة في تموز/يوليو 2013، ومع أفراد عاديين من الشتات المصري في أوروبا.[2]

المشهد الإعلامي المصري: بين التحرّر ومراقبة الدولة

خلال حقبة التسعينيات من القرن العشرين والعقد الأول من القرن الحادي والعشرين، أدت تكنولوجيا الاتصالات الجديدة والسماح بخصخصة وسائل الإعلام في مصر، بما في ذلك القنوات التلفزيونية الفضائية والإنترنت (عبد الفضيل 2012؛ وخميس وفاولر 2020؛ وشحاته 2018)، إلى مزيد من التنوع في المشهد الإعلامي. وقد أسفر ذلك بدوره عن تشكيل جماهير مصرية عابرة للحدود الوطنية تتحدى القيم السياسية التقليدية والدولة المصرية الرسمية بينما أفلتت من السيطرة المباشرة للنظام. توطد هذا المشهد الإعلامي الليبرالي نسبياً في مصر مع الثورة يناير 2011 والتي ساهمت في زيادة وسائل التواصل الاجتماعي والقنوات الفضائية الجديدة (جلال 2021؛ النووي وخميس 2016).

ومع الإطاحة بالرئيس المصري الأسبق حسني مبارك في أعقاب ثورة كانون الثاني/يناير 2011، واجه النشطاء ووسائل الإعلام الرسمية واقعاً جديداً، حيث لم تعد القيود المفروضة على حرية وسائل الإعلام ثابتة أو خاضعة للرقابة كما كانت من قبل. وقد أتاح الغياب الواضح لقوة السرد الواحد أمام المواطنين المصريين إمكانيات جديدة باعتبارهم صناع رأي. ومن ثم، في إطار ثورة 2011، تمكن المصريون من إبداء آراء مختلفة، مما أدى تدريجياً إلى خلق جمهور أكثر تنوعاً وانتقاداً من ذي قبل. وبالفعل يُمكن القول إن وسائل الإعلام المصرية اقتربت من

1 تم هذا المشروع في قسم الدراسات الإقليمية وتقاطع الثقافات بجامعة كوبنهاغن، وتلقى التمويل من صندوق البحوث المستقلة في الدنمارك بتمويل رقم 8018-00038B.

2 في هذه الورقة، يُعرف أفراد الشتات المصري بأنهم أشخاص يعتبرون أنفسهم مصريين أو مصريين من أحد الأبوين لهم أصول مصرية.

عصرها الذهبي خلال الفترة بين عامي 2011-2013. فللمرة الأولى منذ استقلال مصر عام 1952، أصبح بإمكان المصريين مشاهدة وقراءة آراء ممثلين عن كافة شرائح المجتمع. وفي حين هيمنت على وسائل الإعلام وجهات النظر السياسية الليبرالية والعلمانية، فقد دُعي الإسلاميون -مثل الإخوان المسلمين والنشطاء السياسيين السلفيين- أيضاً إلى الظهور في البرامج الحوارية والمشاركة في المناقشات المختلفة لعرض آرائهم (جلال 2017). ومع ذلك، لم يحصل الإسلاميين قط على القدر نفسه من الوقت للحديث على غرار الليبراليين، ولم يتمكنوا من مجاراة الليبراليين من حيث عدد المنابر الإعلامية.

في تموز/يوليو 2013، ومع الإطاحة بالرئيس محمد مرسي في انقلاب عسكري وموقف النظام المصري الجديد المناهض بشدة للإسلاميين، أُغلقت وسائل الإعلام التابعة لجماعة الإخوان المسلمين وغيرها من وسائل الإعلام الإسلامية، وأودع النشطاء من الإخوان في السجون. بيد أن الأمر الذي لم يكن متوقعاً هو القيود التدريجية التي فُرضت على جميع وسائل الإعلام والأصوات المعارضة التي طالت أيضاً النشطاء الليبراليين الذين قادوا انتفاضات عام 2011. وسرعان ما اضطر مؤيدي الإخوان المسلمين والنشطاء الليبراليين إلى الاختيار بين الصمت التام، أو مواصلة النضال -مع دفع الثمن الذي يكاد يكون لا مفر منه بالذهاب إلى السجن أو التعرض للقتل- أو الهروب والنضال من خارج مصر.

هروب الشتات إلى تركيا ووسائل الإعلام المعارضة للنظام

في سياق انعدمت فيه مساحة للمعارضة السياسية في مصر، أصبحت اسطنبول مركزاً للنشطاء المصريين الذين يعربون عن معارضتهم للنظام العسكري من خلال إنتاج وسائل الإعلام المعارضة للنظام والظهور فيها. وإدراكاً لتأثير قناة "الجزيرة" وقناة "الجزيرة المسائية" على الرأي العام العربي، تأسست في اسطنبول العديد من القنوات الفضائية المصرية، بهدف بث الأخبار المعارضة حول مصر. وتُشكل القنوات الثلاث التي تهيمن حالياً على المشهد في اسطنبول، وهي قناة "وطن"، وقناة "الشرق"، وقناة "مكملين"، إلى جانب قناتين تبثان من لندن، هما "التلفزيون العربي" وقناة "الحوار"، مساحة مصرية معارضة أو حتى ثورية. وتتميز هذه القنوات بأنها وسائل إعلام مملوكة للعرب وتبث إلى الجمهور العربي باللغة العربية وتهتم بالشأن العربي بشكل أساسي. وثمة اعتقاد قوي أن أغلب التمويل يأتي من أموال الخليج العربي والمصريين في الخارج، رغم أن مسألة الملكية غير واضحة: فلا يعرف الموظفون ولا الجماهير من هم أصحاب القنوات.

يقوم النشطاء من عام 2011 بأدوار محورية في هذه القنوات؛ إذ يعملون فيها منتجين ومقدمي برامج وموظفين في مجالات أخرى. وحتى هذه اللحظة، غادر محمد ناصر ومعتز مطر، وهما من أبرز مقدمي البرامج في قنوات اسطنبول، مصر بعد عام 2013 في ضوء نشاطهما وموقفهما ضد الانقلاب العسكري.[3] ومثال آخر، هو منتج برنامج "بتوقيت مصر" الذي يُعرض على قناة "التلفزيون العربي" التي تبث من لندن، والذي كان ناشطاً سياسياً خلال ثورة 2011 واضطر إلى الانتقال إلى لندن لتجنب الاضطهاد السياسي. وعلى القدر نفسه من الأهمية، بينما تعرض القنوات التلفزيونية في اسطنبول أنواعاً مختلفة من البرامج (بما في ذلك الأفلام الوثائقية، والأفلام والمسلسلات التلفزيونية، والبرامج الاجتماعية، وبرامج الطهي، والأغاني، والأخبار التلفزيونية، والبرامج الحوارية، بما في ذلك البرامج التي تبث على الهواء مباشرة وتقدم إمكانية التواصل المباشر مع الجمهور)، فإن جميع هذه البرامج (باستثناء برامج الطهي) تتبنى منظوراً نقدياً للنظام المصري.

على سبيل المثال، كل من محمد ناصر ومعتز مطر، اللذان يقدمان برامج حوارية خاصة بهما، يهاجمان النظام العسكري المصري وينتقدان بشدة السيسي وحكومته. إذ يتناول كلاهما في برامجهما مواضيع سياسية ساخنة بينما يتسم أداؤهما صراحةً بالمواجهة والمبالغة والسخرية. وهذا المزيج الذي يتضمن الحديث حول الموضوعات المُلحة والأداء الساخر يجعل البرامج غير رسمية ومسلية على حد سواء مقارنةً بالمناقشات السياسية المملة. ونظراً لأن المقدم يستعرض روايته حول القصص المفجعة باستخدام صوته وحركاته كما لو كان يؤدي دوراً مسرحياً، فإن هذا النوع من البرامج الحوارية يعتمد إلى حد كبير على الحضور القوي وشخصية مقدم البرنامج وشعبيته بدلاً من محتوى البرنامج تحديداً.

يبدو لأول وهلة أن مثل هذه البرامج، بوصفها شكلاً من أشكال المعارضة السياسية، تحقق بعض النجاح. فقد تعرض مقدمو البرامج مثل ناصر ومطر لهجمات شديدة شنتها عليهما وسائل الإعلام المصرية، ورفعت دعاوى قضائية ضدهما، وحكم على كليهما غيابياً، في حين أُلقي القبض على أفراد من أسرهما للضغط عليهما. وفي هذا السياق، نجحت البرامج التي تنتقد النظام في قنوات اسطنبول في تعبئة غضب النظام المصري، على الأقل. ولكن ما مدى نجاحهم أيضاً في تعبئة المعارضة المصرية للنظام؟

رد فعل الجمهور المصري في الشتات

بالنظر إلى استخدام المصريين في الشتات لوسائل الإعلام الناقدة للنظام ورأيهم تجاهها، يبدو نجاح أصحاب هذه الوسائل الإعلامية أقل وضوحاً. فعبر مختلف الفئات العمرية والجنس وخلفيات الأشخاص الذين قابلتهم؛ من الممكن تحديد طرق مختلفة لاستخدام وسائل الإعلام الناقدة للنظام التي تبث من خارج مصر، والتجاوب معها وترجمة رسائلها. بشكل عام، هناك مجموعة تشاهد هذه القنوات بشكل أساسي لأسباب غير سياسية، وثمة مجموعة أخرى تشكل مشاركتها السياسية طريقة استخدامها ومتابعتها للقنوات. ومع ذلك، من الممكن تحديد ثلاثة مواقف مختلفة داخل هاتين المجموعتين الواسعتين. وهذه المواقف لا تشكل بالضرورة مجموعات متميزة من الجماهير، ولكنها تعكس مواقف نموذجية مثالية يمكن للناس التنقل بينها في الممارسة العملية.

لنبدأ من المشاركة غير السياسية؛ وهنا يشمل الموقف الأول استخدام وسائل الإعلام الناقدة للنظام المصري باعتبارها وسيلة لمساعدة الجماهير على النجاة من الضيق العاطفي الناجم عن العيش في المنفى أو الشتات، مع مشاركة هذا الشعور مع المصريين الآخرين الموجودين في المأزق نفسه. فرغم كونهم من ضحايا الظروف السياسية، إلا أن دافعهم لمشاهدة هذه الوسائط الإعلامية ليس النشاط السياسي.

3 عمل محمد ناصر كمؤلف وكاتب سيناريو ومقدم برامج تلفزيونية، لكنه اختفى من وسائل الإعلام المصرية بعد انتقاده الصريح للانقلاب العسكري. وفي نيسان/أبريل 2014، ظهر مرة أخرى في قناة "الشرق" في اسطنبول مع معتز مطر بينما ظهر مطر كمقدم برامج في العديد من القنوات التلفزيونية، ولكنه عمل في عام 2013 كمقدم برامج في قناة "مصر 25" التابعة للإخوان المسلمين. وقد دفعه ذلك بالإضافة إلى نشاطه الكبير خلال الثورة إلى مغادرة مصر.

الموقف الثاني من الاستخدام غير السياسي لوسائل الإعلام الناقدة للنظام يغطي المستخدِم العفوي للإعلام. فبالنسبة لهذه المجموعة، تعتبر وسائل الإعلام التي تنتقد النظام نوعاً واحداً من بين أنواع أخرى، فهم يشاهدونها دون أي غرض محدد. وإن شئت فقل إن مشاهدتهم لها هي في الأساس مسألة فضول حول تغطية هذه القنوات لموضوع يشغل الإعلام المصري في مصر. السبب غير السياسي الثالث لمشاهدة هذه الوسائط هو -بكل بساطة- أنها مسلية. يجد الأشخاص الذين قابلتهم وأشاروا لهذا الغرض أن الأسلوب التضخيمي لهذه الوسائط رائع، وهو موجه إلى جميع المصريين وليس فقط إلى النخبة. إن المبالغة والتضخيم هي الطريقة الوحيدة لجعل المصريين يفهمون الوضع المأساوي في مصر؛ وعلى هذا النحو، فإن هذه البرامج لا تُعرض أخلاقيات الصحافة للخطر، بل هذه هي الطريقة الوحيدة لمحاربة الإعلام المصري الموالي للنظام.

هناك مجموعة أخرى من المواقف ذات دوافع سياسية أكثر وضوحاً، وهي في الوقت نفسه أكثر انتقاداً للأسلوب والمنهج العام لوسائل الإعلام الناقدة للنظام. يأتي على رأس هذا الموقف أولئك الذين يتابعون هذا النمط من الإعلام ويقبلون أسلوبه المميز، رغم أنهم لا يعتقدون أنه النوع الأمثل من الصحافة. إنهم يعذرون مقدمي هذه البرامج لعدم اتباع الأخلاق والمعايير الصحفية إما بالإشارة إلى معاملة النظام المصري الأسوأ بكثير للمعارضة، أو إلى مسؤولية مقدم البرنامج في التحدث نيابة عن جميع المصريين الذين راحوا ضحية الاستبداد وسُجنوا أو أُجبروا على العيش في المنفى. أما الموقف السياسي الثاني الأكثر وضوحاً فيشمل أولئك الذين يستخدمون وسائل الإعلام الناقدة للنظام بشكل صريح للحصول على معلومات ومعرفة حول الحياة اليومية المصرية والوضع السياسي والاقتصادي في مصر، مع مشاركة تجربة العيش في المنفى باعتبارهم جزءاً من الشتات المصري. يتوقع هؤلاء أن توفر وسائل الإعلام الناقدة للنظام معلومات لا تتناولها وسائل الإعلام المصرية، وهم مهتمون عموماً بكيفية تغطية الأخبار المصرية في مصر وإقليمياً ودولياً؛ ومن هنا يصبح استخدام وسائل الإعلام الناقدة للنظام أحد عناصر استخدام أوسع للوسائط الإعلامية متعددة الأوجه، يشمل متابعة ألواناً مختلفة من الوسائط الإعلامية بلغات مختلفة وآراء مختلفة. ونظراً لكونهم ينتقدون ويشككون في جميع المؤسسات الإعلامية والأحزاب السياسية القائمة، فإنهم يتبنون استخداماً متنوعاً لوسائل الإعلام ليتمكنوا من استخلاص استنتاجاتهم الخاصة. وفي الوقت نفسه، فإن ثقتهم تجاه الإعلام الغربي أعلى نسبياً من الإعلام المصري والعربي، رغم أنهم ينتقدون المعايير المزدوجة للحكومات الغربية فيما يتعلق بالدفاع عن حقوق الإنسان في مواجهة النظام المصري. الموقف السياسي الثالث يرفض وسائل الإعلام الناقدة للنظام -مثل تلك الموجودة في اسطنبول- ولا يرون لها فائدة. الأشخاص الذين قابلتهم وأشاروا لهذا الموقف هم بشكل عام يكرهون طريقة ونوعية هذه الوسائط. ورغم أنهم يدركون أهمية الموضوعات المختارة، فإنهم يعزفون عن لغة البرامج الحوارية مثل برنامج ناصر ومطر. ويعتقدون أن وسائل الإعلام المعارضة التي تسعى إلى هدف نبيل هو تحرير الأمة من الاستبداد؛ يجب أن تسعى جاهدة من أجل معايير أعلى، وأن تكون في متناول جميع أفراد الأسرة. علاوة على ذلك، يجب عليهم التعامل مع التحديات التي يواجهها المصريون في الشتات وعدم الاكتفاء بالرد على تغطية وسائل الإعلام المصرية والتحيز السياسي في مصر. يجب أن يلتزموا بأخلاقيات ومعايير الصحافة، وألا يلهثوا وراء التأثير الرخيص من خلال ضرب مجموعة من المصريين بمجموعة أخرى. وبحسب هذا الموقف، فإن وسائل الإعلام الناقدة للنظام تتقاسم مع الإعلام المصري في مصر المستوى المتدني نفسه من أخلاقيات ولغة الصحافة الذي يروق للنوع نفسه من الجماهير. وبالنسبة لهم، لا تملك وسائل الإعلام الناقدة للنظام أي إمكانية للتعبئة السياسية.

معوقات النجاح

إن الدور الرئيسي للناشطين السياسيين في الإعلام الناقد للنظام هو نقطة قوة ونقطة ضعف في الوقت نفسه؛ نقطة قوة بقدر ما يضمنون أصالة المعارضة السياسية، وتقديم أولئك الذين جازفوا طوعاً بفقدان عيشهم وعائلاتهم من أجل التغيير السياسي. من ناحية أخرى، فإن الاعتماد على الأشخاص الذين غادروا مصر لأسباب سياسية يعني أيضاً أن هذه القنوات توظف في المقام الأول أولئك الذين لم يتلقوا أي تدريب إعلامي احترافي، ومن ثم تفتقر إلى الصحفيين المتعلمين والموظفين التقنيين. في حين بدأت قنوات مثل "مكملين" وقناة "الشرق" -ذات الوضع المالي المستقر نسبياً- في تقديم دورات وتدريبات لموظفيها، لا تزال القنوات الأخرى تعاني من نقص التمويل الكافي، وهو ما يزيد من المشاكل، حيث يتلقى الموظفون رواتب غير منتظمة وتقل من آن لآخر. وبسبب عدم وجود مراسلين على الأرض في مصر، تعتمد هذه القنوات بشكل كبير على "الصحفيين المواطنين" والقصص المتداولة على وسائل التواصل الاجتماعي. علاوة على ذلك، فإن النقص في التمويل والكفاءة المهنية لا يتحسن بسبب خوف المصادر المحتملة (المؤسسات، الخبراء، الناس في الشارع) من التحدث أو التعاون مع وسائل الإعلام الناقدة للنظام في اسطنبول. وبالمثل، تخشى بعض الشركات الإعلان على تلك القنوات. والواقع أن أمثلة التهديدات ضد أفراد الأسرة في مصر توضح أن أسباب الخوف حقيقية.

في الواقع، يبذل النظام المصري قصارى جهده للحد من تأثير وسائل الإعلام الناقدة للنظام من خارج مصر؛ ولذلك فإن الدول التي تستضيف مثل هذه الوسائط -مثل المملكة المتحدة وفرنسا والولايات المتحدة الأميركية وتركيا وقطر- تعرضت جميعها لضغوط سياسية من الدولة المصرية. وكمثال على ذلك، طالبت مصر بإغلاق جميع وسائل الإعلام المصرية المعارضة في تركيا لاستئناف العلاقات الدبلوماسية بين البلدين. ورداً على ذلك، طلبت الدولة التركية في آذار/مارس 2021 من قناة "مكملين" وتلفزيون "الشرق" وقناة "وطن" التخفيف من حدة انتقاداتهم. وبالمثل، في 10 نيسان/أبريل 2021، أعلن كلٌ من ناصر ومطر أنهما قررا -بمحض إرادتهما- وقف بث برامجهما الحوارية على قناة "مكملين" وقناة "الشرق" على التوالي، بحجة أنهما يريدان تجنب أي ضغط إضافي على تركيا، ومع ذلك فهم لا ينوون التوقف عن انتقاد النظام العسكري المصري. ومن هنا أعاد مطر في 17 نيسان/أبريل 2021 إطلاق البرنامج نفسه بالضبط بالاسم نفسه على قناته الخاصة على اليوتيوب. وبعد فترة وجيزة، أجبرته الدولة التركية مع ناصر على إغلاق قنواتهما على يوتيوب. وفي كانون الأول/ديسمبر 2021، بدأ مطر قناته الجديدة على اليوتيوب عندما نجح في الانتقال إلى لندن. وفي برنامجه الجديد، لم يقلل من حدة انتقاده للنظام المصري، بل طال نقده دولاً عربية أخرى، خاصة السعودية والإمارات. وبهذا المعنى، فإن محاولات النظام المصري لقمع الأصوات الناقدة المنطلقة من وسائل الإعلام الناقدة للنظام خارج مصر قد حققت بعض النجاح، في حين أن تأثير هذه الوسائل الإعلامية على التعبئة السياسية للمغتربين المصريين أقل وضوحاً.

المراجع

Abdel-Fadil, Mona. 2012. “Living ‘the Message’ and Empowering Muslim Selves: A behind the screens study of online Islam”. PhD thesis, Oslo: University of Oslo.

Galal, Ehab. 2017. “Offentligheder og forandring i studier af arabiske medier”. Babylon Nordisk Tidsskrift for Midtøstenstudier, nr. 1 (juni).

Galal, Ehab. 2021. «Ringfenced religion? Egypt›s religious media between faith and politics.» In Routledege Handbook of Contemporary Egypt, edited by Robert Springborg, Amr Adly, Anthony Gorman, Tamir Moustafa, Aisha Saad, Naomi Sakr, and Sarah Smierciak, pp. 435445-. London: Routledge.

Khamis, Sahar, and Randall Fowler. 2020. “Arab resistance in the diaspora: Comparing the Saudi dissident and the Egyptian whistle-blower”. Journal of Arab & Muslim Media Research, 13 (1): 31–49.

El-Nawawy, Mohammed and Sahar Khamis. 2013. Egyptian Revolution 2.0: Political Blogging, Civic Engagement, and Citizen Journalism. London: Palgrave Macmillan.

Shehata, Mostafa. 2018. “Newspapers and Social Network Sites in Egypt after the 2011 Revolution: Connective Action, Communication Power and Mediatization of Politics”. PhD thesis, Roskilde: School of Communication and Arts, Roskilde University.

ما عساي أن أفعل؟ دور الناشطية (الإعلامية) في أوساط البحرينيين في لندن والدنمارك[1]

توماس فيبيغر، جامعة آرهوس

أصبحت البحرين، في شباط/فبراير من العام 2011، جزءاً من "الربيع العربي". فقد احتل المحتجون موقعاً مركزياً في العاصمة المنامة، وهو دوّار اللؤلؤة، مستلهمين التجربة التونسية والمصرية. وقد دعا هذا المعسكر إلى إصلاح (لا إسقاط) نظام آل خليفة الذي يحكم منذ أمد بعيد، وسُمح له بالاستمرار لمدة شهر واحد، قبل أن تتم إزالته وتفريق المتظاهرين. إضافة إلى ذلك، دُمّر النصب المُقام في الدوّار نفسه، وإن كان في الأصل يمثّل رمزاً للدولة وللشراكة العربية الخليجية (Khalaf 2015؛ Fibiger 2017). في الواقع، كانت هذه البلدان المجاورة -لا سيما المملكة العربية السعودية- هي التي قدمت الدعم العسكري للقضاء على الانتفاضة (Matthiesen 2013). وفي الشهور والسنوات التالية، أحكَم النظام قبضته الرسمية على البلد وسكانه، تماماً كما هي الحال في بلدان أخرى بعد الربيع العربي. وكان من نتائج ذلك فرارُ العديد من النشطاء السياسيين من البلاد أو نفيُهم.

غير أن هذه لم تكن المرة الأولى التي تشهد فيها البحرين قلاقل واضطرابات سياسية، وذهاب بعض البحرينيين إلى المنفى. فبسبب الاضطرابات السياسية في البلاد، مُنِح عدد من البحرينيين حقّ اللجوء في أوروبا منذ الثمانينيات. وقد كانت لندن، على وجه الخصوص، مركزاً لمجتمع الشتات هذا، لا سيما أنشطته السياسية. ففي عام 1983، أُسّست في لندن حركة أحرار البحرين الإسلامية، ومنذ ذلك الوقت عملت هذه الحركة وغيرها للضغط على النظام البحريني من الخارج، إضافة إلى تشجيعها السلطات الأوروبية للقيام بذلك. واليوم، مع تدفق جديد من اللاجئين منذ الانتفاضة التي اندلعت في العام 2011، يبلغ تعداد هذه الجالية في لندن -ومعظمها من البحرينيين الشيعة- حوالي 500 شخص. وبالمثل، جاءت مجموعة صغيرة من البحرينيين في الثمانينات إلى الدنمارك، حيث لا يزال ما بين 50 إلى 60 شخصاً من أصل بحريني يعيشون هناك، وأغلبهم ممن عاشوا وبلغوا سن الرشد في الدنمارك.

وخلال إجراء تحليل مقارن لمجتمعَي الشتات البحرينيَّين في لندن والدنمارك، على الترتيب،[2] أركز على دور الناشطية وأسعى إلى توسيع فكرة ما هي الناشطية، لا السياسية فحسب، بل الاجتماعية والإنسانية والدينية أيضاً؛ وأسعى أيضاً إلى استكشاف دور وسائل الإعلام ضمن هذه الناشطية (واللاناشطية).[3] في لندن، تنشط المجموعة الأساسية من النشطاء السياسيين بشكل كبير في وسائل الإعلام، لا لمجرد متابعة الوضع في البحرين من كثب، ولكن أيضاً إسهاماً في التدفق المعلوماتي من خلال نشر الأخبار بأنفسهم وكتابتها، ومن خلال واتساب وتويتر وقنوات يوتيوب، وبدرجة أقل من خلال المؤسسات الإعلامية العربية أو الأوروبية، مثل الصحف والقنوات التلفزيونية. ويستند العديد من هذه القصص أيضاً إلى أنشطة في أرض الواقع، وخارج الإنترنت، في لندن وأوروبا. أما في الدنمارك، فقد يتابع كثير من البحرينيين الذين تحدثت إليهم الوضعَ في البحرين، ولكنهم في الواقع يحاولون ألا يتابعوا؛ فهم لا يشعرون أن بإمكانهم فعل الكثير لتغيير الوضع هناك، ولذا فالاستمرار في المتابعة لا يشعرهم سوى بالحزن.[4] وفي الواقع، يُعدّ هذا الجانب من عدم المشاركة وعدم استخدام وسائل الإعلام واللاناشطية سمةً مهمة من سمات الشتات البحريني في الدنمارك. وهكذا يوضح تحليلي المقارن للمجتمعين كيف تلعب وسائل الإعلام دوراً مهماً جداً في كلا البلدين، ولكن بطرق مختلفة إلى حد ما، مما يُسهم في إثارة نقاش نقدي ودقيق لمفهوم "إعلامية الشتات" (Mediatized Diaspora).

ما عساي أن أفعل؟ تحديد ملامح الأنماط المختلفة للناشطية واستخدام وسائل الإعلام

تجتمع الجالية البحرينية الشيعية في لندن في مركز ديني يُدعى "دار الحكمة". وهذا، أولاً وقبل كل شيء، مكان لإقامة الجمعة وإلقاء المواعظ والنقاشات الدينية، تماماً مثل المراكز المجتمعية المعروفة في البحرين والعالم الشيعي الأوسع باسم "الحسينية". ولكن من الواضح أنه أيضاً

1 جاء تمويل هذا العمل من "صندوق البحوث المستقل في الدنمارك" (Independent Research Fund Denmark)، رقم المنحة: 8018-00038B.

2 يشمل عملي الميداني لهذا المشروع ما مجموعه 31 مقابلة مع البحرينيين في المنفى أو من نسل المنفيين (جميعهم من البالغين، وهم 25 رجلاً و6 نساء). وجميع هذه المقابلات أُجريت في عامَي 2018-2019، وكان منها 24 مقابلة أُجريت في لندن و7 مقابلات في الدنمارك. وقد أوضحت صعوبة العثور على أشخاص للتحدث إليهم في الدنمارك أن معظمهم يفضلون البقاء بعيداً عن الأنظار، ولا يريدون الحديث عن الوضع السياسي.

3 هذه الورقة جزء من مشروع كتاب أكبر تابع للمشروع البحثي "الشتات الموظَّف إعلاميًّا" (Mediatized Diaspora) الذي ترعاه جامعة كوبنهاغن.

4 قد يكون هذا هو الحال بالنسبة لجزء كبير من الجالية في لندن أيضاً، ولكني هنا كنت على اتصال -في الغالب- مع المجموعة الأساسية من النشطاء، وكثيراً ما كنت أوجّه إليهم أسئلتي حين طلبت من الناس الحديث عن هذه القضايا.

مكان للتعبئة السياسية. ومع ذلك، يلاحظ الأشخاص الذين أجريت معهم مقابلات زيادةَ مستوى السلبية والانسحاب بين البحرينيين وغيرهم من الجماعات والجاليات. فالناس ليسوا ناشطين كما كانوا من قبل، لا من الناحية الدينية ولا من الناحية السياسية. وكما يوضح أحد أوائل البحرينيين المنفيين في لندن:

"يأتون إلى دار الحكمة لأنهم يرونها مكاناً اجتماعياً، لا باعتبارهم نشطاء... فهي جميعة دينية، ولذا يكون فيها حديث عن أي من أمورنا الدينية. ولكن كثيراً منهم لا يريدون الاستماع، وإنما يريدون الوقوف في الخارج والحديث والثرثرة، وما إلى ذلك. ولذا فليس الكثير من القادمين فاعلين حقيقيين. وهذا الأمر ليس مقصوراً على البحرينيين، بل يشمل كل الجاليات".

قد يكون هذا الرجل على حق في أن هذا تطور عام خلال السنوات القليلة الماضية، أو حتى منذ فترة أطول. فهناك شعور متزايد بالانسحاب في أوساط البحرينيين في المنفى (وفي البحرين نفسها، Fibiger 2018)، لا سيما نتيجة القمع والمراقبة الرقمية العابرة للحدود. ومع ذلك، ظهر جيل شاب من النشطاء الجدد، بأشكال جديدة من الناشطية، في السنوات التي أعقبت العام 2011، ويواصل النضال والأنشطة التي ترمي إلى الضغط على الأنظمة في كل من أوروبا والمنطقة العربية من أجل إحداث تغيير في البحرين.

على سبيل المثال، في عام 2018 دخل الناشط البحريني علي مشيمع في إضراب عن الطعام خارج سفارة بلاده في لندن لمدة 63 يوماً، لتسليط الضوء على محنة والده المسجون في البحرين. ووالده حسن مشيمع من القادة السياسيين الإسلاميين المعروفين في البحرين، وكان لسنوات عديدة من زعماء المعارضة في البلاد. وقد نشرت القصة صحيفة الغارديان البريطانية، وغيرها، وكان لها بالفعل بعض التأثير. فقد تحسنت ظروف سجن والده فعلياً، من خلال تدخل الدبلوماسية البريطانية، ولكن على المدى الطويل لم تؤدِّ المبادرة إلى كثير من التغيير. والأكثر إثارةً من ذلك، وبالإشارة إلى الخط الدقيق الفاصل بين سفارة البحرين والسلطة القضائية البريطانية خارجها، كان ذلك الحدث في تموز/يوليو 2019، ليلةَ الإعدام المخطط له بحقّ سجينين في البحرين، حين فرّ الناشط موسى عبد علي من السقائل إلى سطح السفارة، ولَوَّح براية تدعو إلى وقف عمليات الإعدام. وقد استُدعيت الشرطة ووسائل الإعلام إلى موقع الحدث، وتم توثيق كيف كان موسى يهدد بالقفز من السطح، ولكن حراس السفارة سحبوه إلى داخل المبنى. في تلك اللحظة، دخلت الشرطة إلى السفارة بالقوة (وبشكل غير قانوني في الواقع) لإخراجه، بحثٍّ من زملائه النشطاء البحرينيين خارج السفارة، لخشيتهم على حياته، قائلين إنه يمكن أن يكون "خاشقجي آخر"، في إشارة إلى الصحفي السعودي الذي قُتِل في القنصلية السعودية في إسطنبول في العام 2018.[5]

بالمقارنة مع البحرينيين في الدنمارك، تشرح إحدى من قابلتهم في الدنمارك -وهي أم في الثلاثينيات من عمرها- كيف أنها لم تعد تتابع الوضع في البحرين، قائلةً:

"لا أريد الاستماع [إلى أخبار البحرين] لأن ذلك لن يعني الكثير بالنسبة لي؛ نظراً لأني أعيش في الدنمارك، وحياتي هنا، وأعيش حياة جيدة في الدنمارك. عليّ أيضاً الاعتناء بأطفالي، وسأبني لهم مستقبلاً جيداً. علاوة على ذلك، إذا استمعت إلى هذه الأخبار، فلن أشعر إلا بنوع من الالتزام للقيام بشيء ما. وبالنظر إلى كوني غير مؤثرة الآن، فلا يمكنني فعل أي شيء حيال الوضع. في هذه الحالة لن أشعر إلا بالضيق إذا ما اكتفيت بالاستماع للأخبار: حسناً، عرفت ما يجري، لكنني لا أفعل أي شيء. ولهذا فأنا أفضل المشاركة في جمع التبرعات أو القيام بشيء آخر، مثل التبرع بالملابس أو شراء الألعاب للأطفال، أينما كان ذلك في أنحاء العالم".

بالنسبة لهذه المرأة، كما هي الحال بالنسبة لمعظم من قابلتهم، لا يزال من المهم فعل الخير وإحداث تأثير، ولكن هناك عدة طرق للقيام بذلك؛ وقد تكون هذه الأنشطة موجهة ليس فقط نحو البحرين -باعتبارها بلدهم الأم- بل إلى بلدان أخرى محتاجة -مثل سوريا أو السودان أو اليمن- وحتى الفئات [المحتاجة] في الدنمارك أو في الخارج. وفي هذه الحالة، تعد الدنمارك موطناً لهم، مثل البحرين تماماً. لذلك، فإنني أتبع دعوة روزا تساغاروزيانو لإحداث "تحول نظري من مركزية البلد الأم، ومن مركزية عرقية ثابتة وصارمة، إلى أن يكون لدى المغتربين تصورات متعددة المراكز تشبه الشبكات" (2019: 86). يستلزم هذا أيضاً مقاربة لا تضع وسائل الإعلام في مركز الاهتمام، بحيث يشتمل التحليل على أشكال الناشطية خارج الإنترنت وفي الشارع وغير الظاهرة في الإعلام، فضلاً عن الناشطية غير السياسية، كما هي الحال في الاقتباس السابق من المقابلة. ومع أن للإعلام أهمية كبرى وحاسمة لمجتمعات الشتات، لكن في بعض الأحيان قد يحدّ الناس من استخدامهم لوسائل الإعلام؛ وبالتأكيد هناك طرق أخرى ليكون المرء ناشطاً في الشتات. وأعتقد أن هذه الفكرة تبين الأبعاد الدقيقة للصورة الذهنية عن "التوظيف الإعلامي" (Hjarvard 2008; Hepp et al. 2015) -الذي يُفترَض، بناءً عليه، أن وسائل الإعلام تؤطر الواقع بشكل متزايد- وبالتالي فهذه الفكرة توضح أيضاً الأبعاد الدقيقة لمفهوم "إعلامية الشتات".

لذا؛ فمن ناحية، قد يكون الشتات مركزاً للناشطية السياسية، مدفوعاً أيضاً بتقنيات الإعلام الجديد (Baser and Halperin 2019، وانظر أيضاً Adamson 2002؛ Sökefeld 2006). ولكن من ناحية أخرى، يمكن استخدام نفس هذه التقنيات الإعلامية من أجل فرض الرقابة الرقمية وما وصفه تقريرٌ صدر مؤخراً عن منظمة فريدوم هاوس بـ"القمع العابر للحدود" (Schenkkan et al. 2020، وانظر أيضاً Moss 2018). ومع أن هذا يوضح الأهمية البالغة لوسائل الإعلام، يدرك من قابلتهم تماماً أن هذه التقنيات سلاح ذو حدين، وقد قلل الكثيرون بشكل كبير من استخدامهم لوسائل الإعلام، لا سيما فيما يتعلق بالوضع السياسي في البحرين.

توسيع مفهوم الناشطية خارج نطاق السياسة

فيما يتعلق بدرجة انخراط الشتات البحريني في الناشطية، فهذا يصدُق بالتأكيد على أجزاء مهمة من الشتات، لا سيما النشطاء المقيمين في لندن. فهم يواصلون نشاطهم في المنفى، ويواصلون فعل كل ما في وسعهم للضغط على النظام في البحرين، ومن ذلك الضغط عليه عبر الضغط على الأنظمة في أوروبا. كما أنهم يستخدمون مجموعة واسعة من وسائل الإعلام لهذه الناشطية، تشمل وسائل التواصل الاجتماعي، وصفحات الويب الخاصة بالمنظمات غير الحكومية، والنشرات الإخبارية، مثل "صوت البحرين"، وحتى الصحافة التقليدية من قبيل المقالات الصحفية في الصحف اليومية البريطانية، والظهور التلفزيوني، وما إلى ذلك. لكن من المهم الإشارة إلى أن الناشطية عبر الإنترنت وخارجه

5 Channel 4 News, London, 7 August 2018, last visited at https://www.youtube.com/watch?v=PcRhAHVCHOU 17 December 2020.

تسيران معاً، وأن الكثير من الأخبار الإعلامية تعتمد على ناشطية الشارع والمظاهرات والفعاليات العامة. وهذا يشير إلى أن دراسة دور وسائل الإعلام في ناشطية الشتات لا ينبغي أن تركز على وسائل الإعلام فقط (Candidatu et al. 2019: 38 ؛Leurs and Smets 2018)، بل يجب أن تأخذ في الاعتبار العلاقة بين الأنشطة الإعلامية وغير الإعلامية.

علاوة على ذلك، وبسبب القمع العابر للحدود الموصوف آنفاً، يفضل العديد من البحرينيين -سواء في الوطن أو في الشتات- عدم الانخراط في الناشطية السياسية، لا سيما الأشكال التي يمكن تتبعها من خلال وسائل الإعلام التقليدية أو مواقع التواصل الاجتماعي. وما يبدو الآن من تفكيك للتعبئة السياسية -بعد 10 سنوات من انتفاضة 2011 (Yonus 2020 ؛Rennick 2018) بسبب المراقبة الرقمية والمزاج العام الذي لا يرى جدوى من الناشطية- يحتاج إلى مزيد من الدراسات في المناقشات حول العلاقة بين الشتات والناشطية ووسائل الإعلام. إلا أن هذا لا يعني أن البحرينيين ليسوا ناشطين، لكنه يعني أن هذا المجال الأكاديمي يحتاج إلى توسيع ما يُعرَّف على أنه نشاط، والنظر إليه من منظور أوسع، بحيث يشمل أشكال الناشطية السياسية غير المباشرة وكذلك الناشطية التي لا تستهدف البلد الأم بشكل مباشر، فضلاً عن تلك الناتجة عن وسائل الإعلام. لذلك أختتم بهذا الاقتباس من إحدى المقابلات:

"إذا كان بإمكاني التأثير في [وضع] البحرين، فسأفعل ذلك، ولكن إذا لم أستطع، فعندئذ يجب أن أفعل شيئاً آخر. أنا أعيش في الدنمارك. وهذا هو المكان الذي يمكنني التأثير فيه. ... لذا، ومع أنني مؤمن بقضية البحرين، إلا أن نقطة الانطلاق لأنشطتي هي أنني أعيش في الدنمارك، وأنني سأحاسب عندما أموت".

المراجع

Adamson, Fiona B. 2002. “Mobilizing for the Transformation of Home. Politicized identities and transnational practices”. In N. Al-Ali and K. Koser (eds), New Approaches to Migration?. London: Routledge, pp.155–168.

Adamson and Tsourapas 2020. “At home and Abroad: Coercion-by-Proxy as a Tool of Transnational Repression”. In N. Schenkkan, I. Linzer, S. Furstenberg and J. Heathershaw (eds), Perspectives on “Everyday” Transnational Repression in an Age of Globalization: 913-. Washington: Freedom House. https://freedomhouse.org/report/special-report/2020/perspectives-everyday-transnational-repression-age-globalization

Baser, Bahar and Amira Halperin 2019. “Diasporas from the Middle East: Displacement, Transnational Identities and Homeland Politics”. British Journal of Middle Eastern Studies, 46(2): 215221-.

Candidatu, Laura, Koen Leurs, and Sandra Ponzanesi 2019. “Digital Diasporas: Beyond the Buzzword: Toward a Relational Understanding of Mobility and Connectivity”. In J. Retis and R. Tsagarousianou (eds) The Handbook of Diasporas, Media, and Culture: 3148-. Hoboken NJ: John Wiley.

Fibiger, Thomas. 2017. “Potential Heritage. The Making and Unmaking of the Pearl Monument in Bahrain.” Journal of Arabian Studies 7(2): 195210-.

Fibiger, Thomas. 2018. “Stille i Bahrain. 7 år efter det arabiske forår”. Noter – tidsskrift for historielærerforeningen, gymnasium og HF. Vol. 217: 5157-.

Leurs, Koen and Kevin Smets 2018. “Five Questions for Digital Migration Studies: Learning From Digital Connectivity and Forced Migration In(to) Europe”. Social Media + Society 1: 116-.

Matthiesen, Toby 2013. Sectarian Gulf. Stanford: Stanford University Press.

Moss, Dana 2018. “The Ties That Bind: Internet Communication, Technologies, Networked Authoritarianism, and ‘Voice’ in the Syrian Diaspora”. Globalizations, 15:2, pp. 265–282.

Rennick, Sarah Anne 2018. Politics and Revolution in Egypt. Rise and Fall of Youth Activists. London: Routledge.

Sökefeld, Martin 2006. “Mobilizing in Transnational Space: A Social Movement Approach to the Formation of Diaspora”, Global Networks, 6:3, pp. 265–284.

Tsagarousianou, Roza 2019. ‘Beyond the Concept of Diaspora?: Reevaluating our Theoretical Toolkit Through the Study of Muslim Transnationalism’. In J. Retis and R. Tsagarousianou (eds), The Handbook of Diasporas, Media, and Culture: 7796-. Hoboken NJ: John Wiley.

Yonus, Zenia 2020. “Ambiguous Belonging: Media Practices Among Syrians in Denmark”. Journal of Arab & Muslim Media Research 13(1): 105122-.

التعقيدات التي تتغلغل بتأثيرها في الانتماء والانقسام والتعبئة السياسية: المعارضون السوريون في أوروبا[1]

زينية يونس، طالبة دكتوراه في جامعة كوبنهاغن

رغم أن الصراع في سوريا الذي اندلع عام 2011 أدى إلى فرار الملايين من البلاد إلى البلدان المجاورة أو إلى أوروبا، فإن الحرب لم تتسبب فقط في قتل وتدمير الشعب والأماكن والبنية التحتية الحيوية (بما في ذلك المدارس والمستشفيات). علاوةً على ذلك، نجم عن الصراع أيضاً مجموعة هائلة من المحتوى على شبكة الإنترنت يشبه إلى حد كبير السجلات الإلكترونية التي تتصادم فيها الروايات وتتباين بشدة. والواقع أن دور الإعلام كان بالغ الأهمية في تغطية الأحداث. ولكن كيف يتفاعل السوريون مع المحتوى الذي يتغلغل بتأثيره عن بعد، وكيف يقيّم السوريون أنفسهم الإمكانيات والقيود التي تفرضها التقنيات الإعلامية؟ تؤكد هذه الورقة أن ثمة علاقة مباشرة بين ممارسات سياسات الهجرة في البلد الجديد الذي يقيمون فيه ومدى النشاط السياسي فيما يتعلق بالعملية الانتقالية في سوريا. وبعبارة أخرى، لا يرتبط ذلك بالبلد الأم فحسب، بل أيضاً بالبلد الذي يقيمون فيه الآن. ومن خلال دراسة الممارسات الإعلامية بين السوريين في الدنمارك والسويد وألمانيا،[2] يصبح من الواضح كيف تؤثر صراعات الحياة اليومية الناجمة عن الانتماء غير الواضح على مستويات المشاركة السياسية. ومن هذا المنطلق، بالنسبة لهؤلاء المعارضين السوريين في أوروبا، فإن وسائل الإعلام تمكنهم من ممارسة النشاط السياسي وتعيقهم عنه على حد سواء.[3]

توضح هذه الورقة مدى ارتباط السوريين بالمحتوى المؤثر وكيف يقيمونه، وما هي دلالته الضمنية في سياق النشاط السياسي. وتنقسم التوجهات الإعلامية إلى شقين، وتتمثل في الأخبار حول الصراع في سوريا، والمناقشات في بلد الإقامة -وتحديداً سياسات الهجرة. وتبين الدراسة كيف أن الممارسات الإعلامية بين الشتات السوري متعددة الأبعاد، وتتناول التعقيدات التي تفرضها آليات الهوية بين بلد الإقامة والوطن الأم، وبين النشاط السياسي والانقسام، وبين الامتنان لكونهم آمنين وغياب الشعور بالأمان مطلقاً. والمنطق في ذلك أن هذه العمليات المتعددة على الصعيد المحلي تنطوي على عوامل متعددة متداخلة، ومواجهات متنوعة، فضلاً عن مجموعة متباينة من الصراعات حول الانتماء.

تطورات المشهد الإعلامي السوري

يتسم المشهد الإعلامي السوري بممارسات السيطرة، والمعلومات المضللة، وضرورة التحقق من الأخبار الشخصية المستمدة من الديناميات المتعارضة في قطاع الإعلام الرسمي الخاضع للسيطرة من جهة، والمشهد الإعلامي [على وسائل التواصل] الاجتماعي الأكثر انفتاحاً من جهة أخرى. وتضطلع نخبة صغيرة في سوريا بمراقبة وسائل الإعلام من خلال وزارة الإعلام، وكذلك شعبة الاستخبارات للشؤون السياسية وإن كان ذلك على نحو غير رسمي. ولا تسمح القيود الصارمة المفروضة على وسائل الإعلام إلا لوسائل الإعلام العامة والخاصة التي تؤيد القيادة السياسية، وأقصد بها النخب ذات الثقل السياسي التي تملك السلطة على وسائل الاتصالات الاستراتيجية للدولة من أجل نشر آرائها وحشد الدعم وإضفاء الشرعية على تصرفات المؤسسات العامة من خلال وسائل الإعلام التقليدية والحديثة على السواء. وبالرغم من أن تقنيات وسائل الإعلام الحديثة شكلت تحدياً لسيطرة الدولة، فإنها لم تتمكن من إضعافها. وتصنف سوريا في المرتبة 174 من أصل 180 دولة في مؤشر حرية الصحافة لعام 2020 فيما يتعلق بحرية الصحافة.

ورغم ذلك فإن التغيرات التي طرأت على المشهد الإعلامي منذ عام 2011 قليلة من حيث التشريعات والتراخيص اللازمة للعمل، بيد أن وسائل الإعلام الحديثة سمحت بوجود بيئة إعلامية أكثر انفتاحاً (عيسى، 2016). فقد استُخدمت مواقع الشبكات الاجتماعية في البداية لتعبئة وتسهيل تنسيق المظاهرات في المراحل الأولى من الثورة. وعندما احتدم الصراع وأصبح أكثر عنفاً عام 2013، لعبت وسائل التواصل الاجتماعي دوراً محورياً في توثيق الأحداث من داخل بيئة الإعلام المغلقة في سوريا. وقد أسفرت هذه الحاجة إلى توثيق الأحداث عن ظهور العديد من المبادرات الإعلامية الجديدة مختلفة الأنواع والموضوعات والتوجهات، مثل قناة "حلب اليوم" التلفزيونية الفضائية، ومؤسسة "عنب بلدي" الإعلامية المستقلة، وقناة "تلفزيون سوريا"، ومنصة "سيريا أنتولد - حكاية ما انحكت"، وحركة "حملة من أجل سوريا"، والمحطات الإذاعية، مثل إذاعة "سوريالي" وإذاعة "راديو فريش".

وعلى هذا النحو، أثبتت وسائل التواصل الاجتماعي وشبكة الإنترنت أهميتها في التغطية الدولية لما يحدث في سوريا، بالإضافة إلى التعاون مع الشتات السوري، والمنظمات غير الحكومية، والمؤسسات الإعلامية المرموقة. ونظراً إلى أن إحدى القضايا الرئيسية في تغطية الصراع تتمثل في القدر الكبير من المعلومات المضللة، فقد أدت الحرب الإعلامية على

1 تلقت هذه الدراسة التمويل من صندوق البحوث المستقلة في الدنمارك بتمويل رقم: 8018-00038B.

2 تستند هذه الورقة إلى 37 مقابلة شبه منظمة أجريتها في الدنمارك والسويد وألمانيا إلى جانب بحوث مبنية على الإثنوغرافيا الإفتراضية على مواقع شبكات التواصل الاجتماعي لمتابعة سرديات المحتوى والمناقشات الإلكترونية.

3 اعتمدت استخدام مصطلح "السوريون" للإشارة إلى الأشخاص الذين عاشوا معظم حياتهم داخل حدود الدولة القومية السورية. وهذا يشمل الأشخاص الذين ليسوا مواطنين سوريين.

الروايات المتباينة للأحداث إلى زيادة اعتماد السوريين على العلاقات الشخصية من أجل التحقق من الأخبار، الأمر الذي أدى بدوره إلى زيادة استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وعلى وجه الخصوص تطبيقي "واتساب"، و"فيسبوك ماسنجر". ومن هذا المنطلق، يبدو أن نشاط الشتات السوري يُوجه من خلال هذا المشهد الإعلامي المعقد والطرق المختلفة التي تصل بها المعلومات وتثار حولها الصراعات.

أنشطة الشتات السياسية المعارضة

عندما بدأ السوريون في الوصول إلى أوروبا في أواخر عام 2011، قاموا بتشكيل وتنظيم الاتحادات، ومجموعات على موقع "الفيسبوك"، والزمالات، والمبادرات الإنسانية، بهدف التغلب على مصاعب الحياة اليومية بين السوريين -سواء في سوريا أم في البلدان المجاورة، ولكن أيضاً، إلى حد كبير، في بلد إقامتهم الجديد. يُعَرَّف مجتمع الشتات على أنه مجموعة من السكان يعيشون خارج حدود وطنهم، ويرتبطون بـ"ذاكرة جماعية لوطنهم الأم" (كوهن، 2001، الفصل 4). وتوثق الأنشطة السياسية من داخل الشتات السوري التي تُركز حصراً على سوريا بصورة أساسية الحرب من خلال المبادرات الإعلامية، والتوعية، وتبادل المعارف، والمشاركة في المظاهرات، والتعاون مع المنظمات غير الحكومية، فضلاً عن المساعدات الإنسانية المباشرة من خلال كل من المنظمات والشبكات غير الرسمية.

تنقسم توجهات الأنشطة السياسية إلى شقين، وهي تمثل القضية السورية ومناقشات سياسات الهجرة تحديداً. وقد كان الدافع وراء هذه الأنشطة هو الرغبة في التأثير على الرأي العام من خلال التوعية على سبيل المثال، والنشاط المرئي عبر مقاطع الفيديو، والمشاركة الإعلامية، وحضور المناقشات حول سوريا أو الهجرة. ويشارك السوريون في أنشطة مختلفة في آن واحد، مما يجعل المشاركة متعددة الأبعاد. وقد كانت الأنشطة السياسية قائمة على حقوق الإنسان (بما في ذلك الحركات النسوية أيضاً)، وذات دوافع أخلاقية لزيادة الوعي بالظلم. لقد هيأ السوريون مساحات للتواصل الوطني وعبر الوطني من خلال وسائل الإعلام، على الرغم من أنهم منتشرين في جميع أنحاء أوروبا، ولكن يرتبطون ارتباطاً ضعيفاً من خلال العلاقات مع الدولة القومية السورية. في حين توجه الأنشطة السياسية نحو السياسة السورية وسياسة الدولة المضيفة في آن واحد، فضلاً عن التحالفات القائمة على الإنترنت وخارجه التي تتسم بأنها غير مقيدة بالحدود الإقليمية: فهي لا تَعبر فحسب بين الدول، بل أيضاً الوطن المتخيل والمشترك، ويرتبطون من خلال هوية جماعية تحت مُسمى أنهم جميعاً "سوريين".

في هذا السياق، يتضح أن هذه الأنشطة هي أنشطة ناجمة عن الشتات وليست عبر وطنية كما يزعم طبر (طبر، 2020)، من منطلق أنها تعمل من أجل إحداث تغييرات في سوريا وتقوم على روابط قوية مع الدولة القومية نفسها. ومع ذلك، فإن العلاقة مع "الوطن" السابق متناقضة ومفعمة بالمشاعر المرتبطة بقسوة النظام بالإضافة إلى الذكريات السعيدة والحنين. ولا يزال "الوطن" بالغ الأهمية رغم الانفصال الجسدي عن الوطن المتصور. غير أن السنوات الماضية شهدت انخفاضاً في الأنشطة السياسية من جهة، وتغييرات في طبيعة الأنشطة نفسها من جهة أخرى، مما يبرهن على مدى قدرة وسائل الإعلام على تغيير نشاط الشتات شكلاً ومضموناً.

الطبيعة المتغيرة للناشطية

من أهم أشكال ناشطية الشتات السوري توثيقُ ومقاضاة مسؤولين حكوميين سابقين في دول مختلفة عبر أوروبا في ألمانيا والنمسا والسويد والنرويج، مثل محاكمة الخطيب في كوبلنز ضد ضابطين متهمين بمشاهدة تعذيب أكثر من 4000 شخص. وقد حُكم على أنور رسلان بالسجن المؤبد في 13 كانون الثاني/يناير 2022. ونظراً لوجود نقاش حول أن المحاكمة القضائية "نخبوية" وليست متاحة للجميع، يعمل بعض النشطاء في برلين على نشر العملية على نطاق أوسع. تهدف هذه الأنشطة إلى تحقيق العدالة الانتقالية، على أمل أن الإقناع والمواد الإعلامية الضخمة يمكن أن تسلط الضوء على العنف الهيكلي في سوريا أو حتى تساعد في السياقات الاستبدادية الأخرى. ثمة نوع آخر من النشاط المعارِض السائد جاء من خلال صنع وإنتاج أفلام مثل "الكهف" The Cave و"إلى سما" For Sama المرشحين لجائزة الأوسكار. نستطيع أن نقول إنها صورة من صور التعبير الثقافي لتوثيق القصص الشخصية، وبالمساعدة المالية يمكنها كذلك سرد تلك القصص من خلال لقطات مصورة في سوريا.

لكن على الرغم من الخطوة الكبيرة في قضية كوبلنز، فإن تفكيك التعبئة السياسية بين السوريين يحدث؛ صحيحٌ أن هذا لا يعني تفكيك استقطابهم السياسي، إلا أنني شاهدت نوعاً من اليأس الجماعي والتقييمات السلبية لأهمية الإجراءات السياسية منذ أن لم يغير الصراعُ الوضعَ المعيشي للسوريين إلى الأفضل. إن الافتقار إلى الحرية، والمجاعات، وحقيقة أن الأسد لا يزال في السلطة، إلى جانب الصراعات بين السوريين في الشتات لتعلم لغة جديدة والعثور على وظيفة، والنظر إليهم من جانب واحد يحصرهم في دائرة "اللاجئين"؛ كلها عوامل تؤدي إلى تفكيك التعبئة السياسية.

يُعبر ناشط ذكر مقيم في الدنمارك عن تراجع مشاركته السياسية نتيجة الضغوط المعيشية التي تواجهه في المنفى:

"لم تعد الأنشطة الحقيقية موجودة [...] وأنا لم أعد ذلك الرجل على الإطلاق، لقد صرت عكس ذلك تماماً. فور أن وصلت، لم أكن أجلس، كان لدي دائماً أنشطة، لكن الآن فقط أعمل وأجلس في المنزل. إن عدم التسوية والقضايا الأخرى يدفعك إلى الدخول في حالة من القلق [...] أو الضغط".

ويوافقه ذكر آخر قائلاً: "لقد اعتادوا على إعطاء اللاجئين حقوقهم من كافة الجوانب، أما الآن فهناك الكثير من الضغط والتوتر".

ثمة عامل مهم آخر في عملية تفكيك التعبئة السياسية، ومن المفارقة أن يكون هذا العامل هو القولبة الإعلامية للحرب؛ أي انسحاب الناس من تدفق الأخبار لحماية أنفسهم من مشاهدة المواد المصورة، وأيضاً بسبب الخوف من مراقبة أجهزة الدولة السورية. فعلى سبيل المثال، يتجنب كثيرون القضايا السياسية أو يتطرقون إلى الموضوعات الحساسة بلغة مشفرة عند التفاعل مع الناس في سوريا. وتُظهر المراقبة الرقمية -أو "الاستبداد المعزز بالتقنيات الرقمية" (دانا موس، 2018)- إلى جانب أشكال أخرى من الرقابة الاجتماعية؛ كيف أن النسيج الاجتماعي المكون من الخوف وانعدام الثقة والحكم الاستبدادي يلازم الأشخاص الذين نشؤوا فيه حتى المنفى. وهذا ليس مفاجئاً في حد ذاته، باستثناء حقيقة أن الخوف قد تلاشى في البداية، أما الآن فقد يكون أقوى مما كان عليه قبل عام 2011 بسبب صمود القيادة بأساليبها العنيفة والقاسية لقمع

الانشقاقات السياسية. ومع تراجع الأنشطة السياسية من الشتات على مدى السنوات الماضية، أشار العديد من المحاورين أيضاً إلى دخول الجماعات الإسلامية المتطرفة باعتبارها نقطة تحول.

ومع ذلك، فإن تفكيك التعبئة السياسية مرتبط أيضاً بصعوبات الهجرة، وكيف يُعرّف المرء نفسه باعتباره ناشطاً سياسياً أو منخرطًا في نشاطات سياسية. فمثلاً كان هناك صحفيون محترفون من بين من قابلناهم، وعلى الرغم من أن لديهم مواقف معارضة ويعملون في مواضيع سياسية للغاية حول سوريا؛ إلا أنهم لا يعتبرون أنفسهم ناشطين سياسياً. إنها وظيفة في رأيهم، والهدف هو أن تلتزم الحياد والموضوعية، وهذا لا يمنع أنهم يصفون الصعوبات العاطفية التي تواجههم عند الاستماع إلى الأحداث أو غيرها من التجارب الشاقة. رغم أن هذه ليست مقارنة بين البلدان الثلاثة التي أجريت مقابلات فيها، إلا أنه من الواضح جداً أن الشتات في برلين وما حولها لا يزال حيوياً على الرغم من الفجوات بين الأجيال بين أعضاء المعارضة "القدامى" و"الجدد" على مستوى كل من العمر والأيديولوجيات السياسية.

وسائل الإعلام وضغوط المنفى

تؤكد الباحثة الإعلامية ميريا جورجيو أن مجموعات الشتات تستخدم وسائل الإعلام بطرق معقدة، مما يشكل إحساساً بالانتماء الثقافي والسياسي (جورجيو، 2013: 88). تعد حاجة البشر للانتماء إلى مجموعة أو بلد أو مجتمع افتراضي أمراً بالغ الأهمية، ولكن بالنسبة للسوريين في أوروبا، فهم يتعرضون لما يُشار إليه غالبًا باسم "الضغط" بسبب ضيق الوقت ونقص المهارات، وقلة المال، وحتى افتقارهم إلى السيطرة على وضعهم. تتجلى المصاعب بشكل أكبر عند أخذ الوضع في سوريا والاستبداد الشبكي في الاعتبار. تتعرض أصواتهم للقمع والتكميم، وبعض الأسئلة التي أثارها الأشخاص في هذه الدراسة كانت كيف ساعدت سياسات الهجرة الدنماركية بشكل غير مباشر القيادة السورية على البقاء في السلطة من خلال تمكين أنشطة المنشقين. صرح صحفي شاب مقيم في الدنمارك: "نحن معتادون على حكومة تطلق النار علينا، وتقتلنا، ويمكننا التعامل معها- لكن من الصعب حقاً التعامل مع الحرب النفسية التي تشنها الحكومة [الدنماركية]".

يقودني هذا البيان إلى استنتاج مفاده أن هناك -خاصة في الدنمارك، وبشكل عام في جميع البلدان الثلاثة- الكثير من ضغوط المنفى وهي تستهلك الكثير من الطاقة والتركيز. هذا جانب من جوانب تفكيك التعبئة السياسية وانخفاض مستوى النشاط السياسي نحو التغيير في سوريا. وخلال المقابلات، اتضح كيف ساهمت تجارب السوريين ومواجهاتهم مع الدول الجديدة في تشكيل حياتهم اليومية، ومن ثم الممارسات الإعلامية والنشاط السياسي. تهدف الإجراءات السياسية إلى الانتقال في سوريا ومعارضة سياسات الهجرة القاسية في بلد إقامتهم، وهذا يعني التحول نحو الأنشطة التي تعتمد بشكل أكبر على كونك وافداً جديداً في سياق جديد، وتقديم المساعدة والمعلومات للآخرين الذين يواجهون المواقف نفسها. لا يزال الكثير من الناس يعملون بلا كلل من أجل قضيتهم بينما قلل آخرون مشاركتهم لحماية صحتهم العقلية والنفسية. بالنسبة للكثيرين، تصبح المساحات الإعلامية مكاناً يمكنهم الانتماء له، ونأمل أن يُعزَّز الشعور بالانتماء خارج الإنترنت أيضاً من خلال الاعتراف بهجينة الهوية البشرية وبجرعة من التعاطف الممتد.

المراجع

Cohen, R. (2001). Global diasporas: An introduction (Reprinted). Routledge.

Georgiou, M. (2013). Diaspora in the Digital Era: Minorities and Media Representation. 12(4), 80–99.

Issa, A. (2016). «Syria's New Media Landscape- Independent Media Born Out of War». The Middle East Institute, MEI Policy Paper(9), 1–33.

Moss, D. M. (2018). «The Ties That Bind: Internet Communication Technologies, Networked Authoritarianism, and 'Voice' in the Syrian Diaspora». Globalizations, 15(2), 265–282. https://doi.org/10.108014747731.2016.1263079/

Tabar, P. (2020). «Transnational Is Not Diasporic: A Bourdieusian Approach to the Study of Modern Diaspora». Journal of Sociology. 56(3), 455–471. https://doi.org/10.11771440783319853026/

الاتصال السياسي في الشتات: دراسة حالة الشتات التونسي في أوروبا

مصطفى شحاته

مع أن تونس دولة صغيرة، إلا أنها تمتلك معدلات هجرة مرتفعة -خاصة إلى الدول الغربية- مع وجود نسبة عالية من مواطنيها يعيشون في الخارج. فمن أصل 11.5 مليون نسمة، يعيش 1.2 مليون شخص خارج حدود البلاد، معظمهم (84.5%) في أوروبا، وبالأخص فرنسا (وزارة الشؤون الخارجية التونسية، 2014). ازدادت الرغبة في الهجرة من تونس منذ عام 2011، نظراً للصعوبات الاقتصادية التي ترتبت على حالة عدم الاستقرار السياسي عقب الثورة (آن وولف، 2014). وفي حين مثّل الشتات مصدراً بالغ الأهمية للدخل القومي التونسي (أليس ميسنارد، 2004، ص 134)، فقد اضطلع أيضاً بدور معارض كبير خلال حقبتي بورقيبة وزين الدين بن علي (غراتسيانو 2012، دازي وزيديرمان 2017).

لكن في الآونة الأخيرة شهدت الساحة السياسية التونسية تحولين مهمين ساهما على الأرجح في تشكيل الاتصال السياسي للشتات. فمن ناحية، أدت زيادة حرية التعبير والتنظيم (المصري، 2017) إلى تراجع المخاطر المرتبطة بالمشاركة السياسية. ومن ناحية أخرى، أتاح انتشار المنصات الإعلامية (العيساوي، 2012، ص 6) مزيداً من التمثيل لمختلف التوجهات السياسية للتونسيين (باكلي وآخرون، 2012). ومع ذلك، فمن المرجح أن يقضي انقلاب 2021 -الذي أطاح بالبرلمان والحكومة- على هذه المكاسب.

في هذا الصدد، ظهرت وسائل تواصل مختلفة لمساعدة أفراد الشتات على التفاعل مثل المنصات الإعلامية والشبكات والمنظمات.[1] من الممكن أن يساهم تصنيف أوجه التواصل السياسي للشتات التونسي في أوروبا[2] في تحسين فهمنا عن الفرص المتاحة أمام أبناء الشتات من أجل المشاركة السياسية والتأثير بصورة تتجاوز الحدود الوطنية في بلدهم الأم. لكن في الوقت ذاته، من الممكن كذلك ملاحظة أن المشاركة في الأنشطة السياسية تتوقف أيضاً على عوامل شخصية غير توافر الوسائل.

أشكال الاتصال السياسي المختلفة...

يتناول مجال الاتصال السياسي الدور الذي يؤديه أيّ شكل من أشكال التواصل في العملية السياسية (ماكناير، 2017، ص 4). وفي الشتات، يمكن أن يتضمن الاتصال السياسي أيّ تفاعل -شفهياً كان أم عملياً- يمارسه أفراد الشتات، سواء كانوا فاعلين سياسياً أو مواطنين عاديين. في هذا السياق، يمكن تحديد خمسة أنشطة سياسية رئيسية يضطلع بها أبناء الشتات التونسي وكان للتواصل دوراً محورياً فيها، والتي تتراوح ما بين أشكال المشاركة السياسية المباشرة والصريحة إلى الاستهلاك السياسي السلبي من خلال التبادل غير الرسمي. (انظر شكل 1)

أولاً، هناك الانخراط في الأحزاب السياسية التونسية، وهو ما قد يُعد توجهاً تقليدياً للغاية. فعلى سبيل المثال، صرح رجل مقيم في الدنمارك يبلغ من العمر 56 عاماً قائلاً، "سافرتُ في 2011 إلى تونس وأسست حزباً سياسياً... أسست أيضاً منظمة تهتم بحماية الأطفال من العنف البدني والجنسي. وما زلت أتواصل مع الحزب والمنظمة عبر منصات التواصل الاجتماعي". في الوقت نفسه، أصبح آخرون أعضاءً رئيسيين في بعض الأحزاب السياسية مثل حزب النهضة الإسلامي وحزب المؤتمر من أجل الجمهورية ذي التوجه اليساري المعتدل. فقد قالت شابة تبلغ من العمر 26 عاماً وتعيش في فرنسا، "انضممت لحزب المؤتمر من أجل الجمهورية في 2012... وشاركت أيضاً في الانتخابات البرلمانية ضمن قائمة انتخابية، لكننا خسرنا بسبب انعدام الشفافية. بعد ذلك ذهبت إلى فرنسا وبدأت في دعم الحركة التقدمية".

1 تحتج كثير من الدراسات بأن الإعلام الرقمي تحديداً هو ما يجعل أفراد الشتات مترابطين شبكياً (على سبيل المثال: كانغ 2009، تساغاروسيانو وريتيز 2019:4) وأن الكيانات المنظمة هي ما تبقيهم متصلين جماعياً (مثل: كوهين 2008:6، غروسمان 2019: 1274).

2 يستند البحث المقدم هنا إلى 45 مقابلة نوعية شبه منظمة أجريت مع تونسيين يعيشون في ثلاثة دول أوروبية (11 مقابلة في الدنمارك، وعشر مقابلات في السويد، و24 مقابلة في فرنسا) باستخدام طريقة عينة كرة الثلج (أو عينة سلسلة الإحالة). وقد اختير المشاركون بناء على اهتماماتهم السياسية ومستواهم التعليمي. وتضمنت العينة أشخاصاً من مختلف الفئات العمرية والتوجهات السياسية.

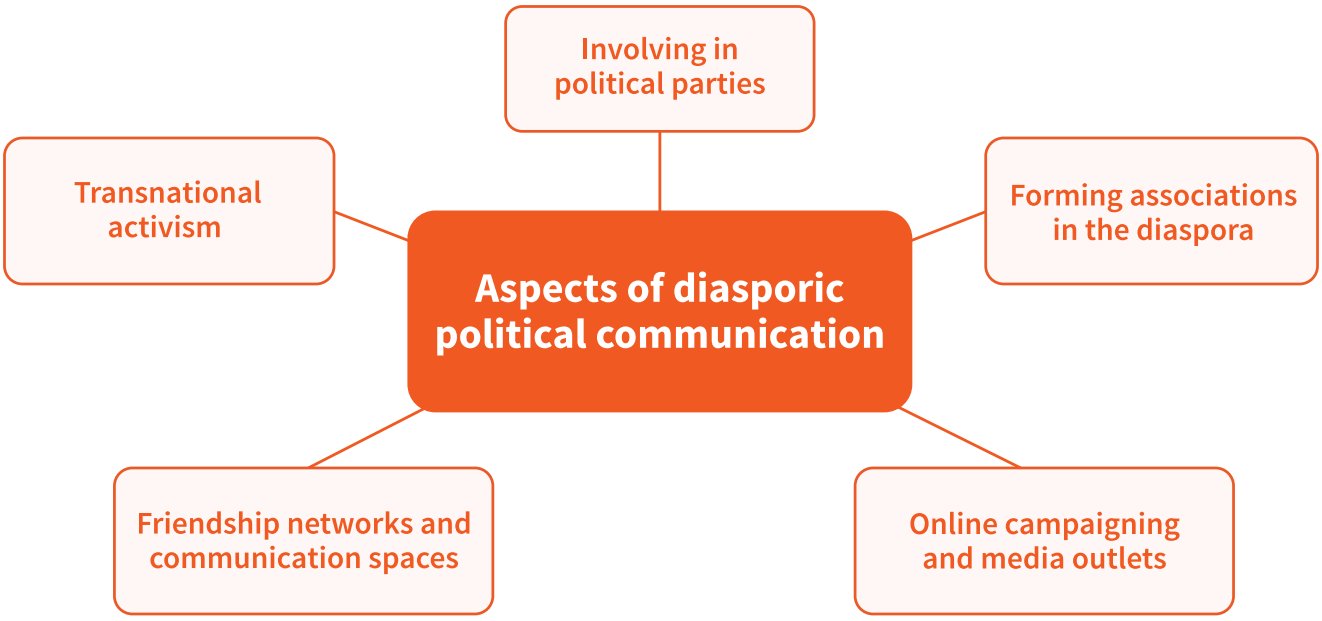

Figure 1: Aspects of diasporic political communication

ثم لدينا النشاط الثاني، الذي يتمثل في التواصل السياسي بين أفراد الشتات التونسي في أوروبا بما في ذلك تشكيل جمعيات وروابط في البلدان المضيفة. إذ تُعد الجمعيات والمنظمات الاجتماعية عوامل مهمة للتجمع وتنسيق الجهود والتعبير عن الهوية المشتركة. مثلاً، أسس بعض التونسيين في السويد جمعيات سياسية واجتماعية قبل الثورة وبعدها، بهدف التأثير على الوضع السياسي في بلدهم الأم. فقد قال أحد المشاركين الإسلاميين (وهو رجل يبلغ من العمر 62 عاماً) يقيم في السويد، "أسسنا منظمة... وكنا ننظم مظاهرات في السويد. كان لدى المنظمة دور محدد: وهو محاربة الدكتاتور (بن علي). لا تزال المنظمة تباشر عملها إلى اليوم، لكن دورها تقلص". بالمثل، أسس مشاركان إسلاميان آخران جمعية بعد 2011 في جنوب السويد لتعزيز العلاقات الاجتماعية بين المغتربين التونسيين. وقد نظموا لقاءين، لكنهم لم يتمكنوا من مواصلة تلك اللقاءات بسبب نقص الموارد. ومع ذلك، نجحوا في الإبقاء على صفحة في موقع فيسبوك تحمل اسم الجمعية وينشرون من حينٍ لآخر منشورات اجتماعية عليها.

ثالثاً، بدأت المشاركة السياسية التي يضطلع بها أفراد الشتات التونسي تتخذ هيئة تنظيم حملات إلكترونية وتأسيس منافذ إعلامية. ففي عهد بن علي، تمكن الشتات التونسي من إنشاء مواقع إلكترونية إخبارية كان لها دور معارِض رئيسي، مثل موقع "نواة" وموقع "Fil Rouge" (أو خط أحمر) و"تونس نيوز" و"Réveil Tunisien" (أو الصحوة التونسية) (انظر غراتسيانو 2012). فقد قال ناشط إعلامي في السويد، يبلغ من العمر 58 عاماً، إنه "في مطلع الألفية الجديدة، بدأ موقعنا في العمل من خلال البريد الإلكتروني وكان يرسل أخباراً للمقيمين في تونس. كان أشبه بجريدة إخبارية حازت على ثقة الأطراف الفاعلة التونسية، وأرسلوا لنا ما يرغبون في نشره". إضافة لذلك، كانت الحملات الإلكترونية من الأنشطة المهمة أيضاً التي مارسها أفراد الشتات. فقد أدت منصات التواصل الاجتماعي تحديداً دور المعارضة. فعلى سبيل المثال، شنت مجموعة "Tunisien I Sverige" (أو تونس في السويد) على فيسبوك حملة ضد فساد الحكومة في قطاع التعدين، وهي قضية أدت إلى إقالة وزير الطاقة والمناجم التونسي في عام 2018، بشبهة الفساد.

أما النشاط الرابع فهو شبكات الصداقة ومساحات التواصل التي أوجدت فرصاً أيضاً للتبادل السياسي. فقد تمكن التونسيون في الشتات من لقاء أقرانهم، وتكوين شبكات صداقة وتنظيم فعاليات اجتماعية. على سبيل المثال، استغل التونسيون في فرنسا منصات التواصل الاجتماعي لتنظيم فعاليات سمحت لهم بالتواصل وتبادل الآراء بشأن القضايا التي تخص وطنهم.[3] إضافة لذلك، قدمت الفعاليات التي تعقدها المنظمات غير الحكومية عن تونس فرصةً أخرى للتواصل ومناقشة الوضع في الوطن. مثلاً، نظمت مؤسسة أوكسفام (Oxfam IBIS) فعالية في كوبنهاغن عام 2019 حول الثورة التونسية، وهو ما أتاح الفرصة أمام كثير من التونسيين للاجتماع ومناقشة القضايا السياسية. تشكل شبكات الصداقة مساحة أخرى للتواصل السياسي في الشتات، وهي تلعب دوراً مهماً في إثراء النقاشات السياسية وتبادل المعرفة وتكوين المواقف والسلوك الانتخابي. في هذا الصدد، قالت طالبة في فرنسا تبلغ من العمر 20 عاماً، "أعيش في سكن طلاب تونسي مميز للغاية. فأنا أعرف أشخاصاً كثيرين هناك، وبعضهم أصدقائي... أتحدث مع أصدقائي عن الأوضاع في التونس، والحالة السياسية والاقتصادية".

تأتي خامساً وأخيراً الأشكال المختلفة من الأنشطة العابرة للحدود الوطنية، وأقصد بذلك مشاركة الشتات في الأنشطة متعددة الجنسيات التي لا تتعلق بشؤون أوطانهم. قابلت في فرنسا رجل تونسي يساري التوجه أسس منظمات معنية بشؤون المهاجرين وشارك في فعاليات دولية مرتبطة باهتماماته بالديمقراطية وحقوق الإنسان والعدالة والمساواة. وقد وصف أنشطته قائلاً "نظمت حفلات موسيقية لجميع المهاجرين هنا في فرنسا وبلجيكا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا. زرت أيضاً مصر والمغرب والجزائر وسوريا... تهتم مؤسستنا بالدفاع عن حقوق

3 تستضيف فرنسا بالفعل أكبر عدد من التونسيين الذين يعيشون في الخارج، وقد شكّل التونسيون جاليات ومجتمعات محلية فيها. وتوجد في باريس مطاعم ومساكن ومقاهي ومساجد تونسية، وهي أماكن أتيحت لي فرصة مقابلة كثير من التونسيين فيها.

المهاجرين، ونعقد ندوات لمكافحة التمييز". أحد الأمثلة الأخرى في السياق نفسه هو رجل دين تونسي يبلغ من العمر 65 عاماً ويقيم في الدنمارك، وقد شارك في أنشطة دينية وسياسية عابرة للحدود الوطنية. تحدث عن إحدى نشاطاته قائلاً، "خلال أزمة الرسوم الكاريكاتورية الدنماركية [2005-2006]، جاءتنا قنوات تلفزيونية مثل "سي إن إن" و"بي بي سي" للاستفسار عن أوضاعنا. وقد سافرت حول العالم أيضاً لتوضيح المشكلة وكنت ضيفاً في إذاعات وقنوات تلفزيونية".

...ومستويات المشاركة المختلفة

هذه المجالات الخمس من الأنشطة هي أبرز أشكال المشاركة السياسية التي يمارسها أفراد الشتات التونسي في أوروبا. مع ذلك، ينبغي الانتباه إلى أن مستويات المشاركة في التواصل السياسي تختلف بين أفراد الشتات. لهذا أقترح تقسيم المغتربين إلى ثلاث فئات، حسب درجة مشاركتهم في أنشطة الاتصال السياسي في الشتات. لدينا أولاً، فئة المؤثرين السياسيين، وهم أولئك الأفراد الأكثر نشاطاً وفعالية الذين يمكنهم التأثير في أفراد آخرين من أبناء الشتات. ومعظمهم شخصيات قيادية برزت على الساحة بفضل الجمعيات والشبكات و/أو المنصات الإعلامية. بينما تتضمن الفئة الثانية الأشخاص المثقفين سياسياً، الذين يشاركون في أنشطة الاتصال السياسي ويبدون اهتماماً بها، لكنهم على الأغلب لا يضطلعون بأدوار قيادية في المؤسسات أو الأنشطة السياسية. أما الفئة الثالثة والأخيرة فتضم الأشخاص الذين يتحاشون السياسة، وكثيرون منهم كانوا مهتمين بالسياسة لكنهم لم يعودوا كذلك بسبب الفشل السياسي وحالة اليأس السائدة في تونس.

يبين هذا المسح أن الحياة في الشتات تتيح للتونسيين الذين يعيشون في أوروبا إمكانية الانخراط في أنواع مختلفة من الأنشطة السياسية، بداية من المشاركة المباشرة والرسمية إلى التبادل السلبي غير المباشر، من خلال الشبكات والمنظمات والقنوات التلفزيونية. من جانبها، يمكن لهذه المشاركة وتلك الأشكال من الاتصال السياسي التي يمارسها المغتربون أن تؤثر أيضاً بدرجات مختلفة على القرارات السياسية والسياسات الحكومية. لكن مع ذلك، لا يرتبط مستوى المشاركة الذي يضطلع به أيّ فرد في الشتات بمدى توافر فضاءات التواصل فحسب، بل يرتبط أيضاً بعوامل أخرى تتعلق بالمحفزات والاهتمامات الشخصية. ومن هذا المنطلق، ينبغي عند إجراء مسح لأنشطة التواصل السياسي في الشتات أن يتم مراعاة أساليب المشاركة والعناصر الفردية المختلفة التي تؤثر في درجة المشاركة.

المراجع

Biernacki, P., & Waldorf, D. (1981). “Snowball Sampling: Problems and Techniques of Chain Referral Sampling”. Sociological methods & research, 10(2), 141163-.

Bucklet, S., Chaabi, S., & Ouarda, B. (2012). Assessment of Media Development in Tunisia. Based on UNESCO›s Media Development Indicators. Paris: UNESCO.

Cohen, R. (2008). Global diasporas: An Introduction. New York: Routledge.

Corbin, J. M., & Strauss, A. (1990). “Grounded Theory Research: Procedures, Canons, And Evaluative Criteria”. Qualitative Sociology, 13 (1), 3–21. doi:10.1007/bf00988593.

Corbin, J., & Strauss, A. (2015). Basics of Qualitative Research: Techniques and Procedures For Developing Grounded Theory (4th ed.). Thousand Oaks: Sage publications.

Creswell, J. W. (2009). Research Design: Qualitative, Quantitative, and Mixed Methods Approaches, (3rd ed.). Thousand Oaks: Sage publications.

Dazey, M., & Zederman, M. (2017). “Long-distance Islamist Oppositions”. Revue francaise de science politique, 67(5), 837–855.

El-Issawi, F. (2012). Tunisian Media in Transition, Washington, D.C: Carnegie Endowment for International Peace.

Graziano, T. (2012). “The Tunisian Diaspora: Between ‘Digital Riots’ and Web Activism”. Social Science Information, 51,(4), 534–550.

Grossman, J. (2019). “Toward a Definition of Diaspora”. Ethnic and Racial Studies, 42(8), 12631282-. Doi: 10.108001419870.2018.1550261.pdf

Kang, T. (2009). Homeland Re-territorialized: Revisiting the Role of Geographical Places in the Formation of Diasporic Identity in the Digital Age. Information, Communication & Society, 12(3), 326–343.

Kvale, S. (2007). Doing Interviews. London: Sage.

Masri, S., M. (2017). Tunisia: An Arab Anomaly. New York: Columbia University Press.

McNair, B. (2017). An Introduction to Political Communication, 6th ed. London: Routledge.

Mensard, A. (2004). “Temporary Migration and Self-Employment: Evidence from Tunisia”. Brussels Economic Review, 47(1), 119–138.

Office of Tunisians Abroad (2012). Répartition de la communauté tunisienne à l’étranger [Distribution of the Tunisian Community abroad]. Retrieved from https://bit.ly/3Nfd7dt

Tsagarousianou, R., & Retis, J. (2019). “Diasporas, Media, and Culture Exploring Dimensions of Human Mobility and Connectivity in the Era of Global Interdependency”. In J. Retis and R. Tsagarousianou (eds.), The Handbook of Diasporas, Media, and Culture Hoboken: John Wiley & Sons, 1–20.

Tunisia’s Ministry of Foreign Affairs (2014). “Evolution des Tunisiens residents a l›etranger par pays et ensemble de pays [Evolution of Tunisian residents abroad by country)]”. Retrieved from https://bit.ly/3Iv9xbz. Accessed 2 November 2019.

Wolf, A. (2014). “Powershift in Tunisia: Electoral Success of Secular Parties Might Deepen Polarization”. Berlin: Deutsches Institut für Internationale Politik und Sicherheit. Retrieved from https://nbn-resolving.org/urn:nbn:de:0168-ssoar-412112

مبادرة الإصلاح العربي

مبادرة الإصلاح العربي مؤسسة بحثية رائدة للبحوث الفكرية المستقلة، تقوم، وبشراكة مع خبراء من المنطقة العربية وخارجها، باقتراح برامج واقعية ومنبثقة عن المنطقة من أجل السعي إلى تحقيق تغيير ديمقراطي وعدالة اجتماعية. تقوم المبادرة بالأبحاث السياسية، وتحليل السياسات، وتقدم منبراً للأصوات المتميّزة وتلتزم في عملها بمبادئ الحرية والتعددية والمساواة بين الجنسين.

contact@arab-reform.net
باريس - بيروت - تونس